**التزوير في التاريخ الروسي والحرب العالمية (1-4)**

* [د. زياد منصور](https://assoual.com/archives/author/ziadmansour)

* [20/06/2024](https://assoual.com/archives/43986)

* [تقارير وتحقيقات](https://assoual.com/archives/category/reports-and-investigations)

**د. زياد منصور**

**لا شك في أن انتصار السوفيات في الحرب الوطنية العظمى على النازية 1941-1945، وتحرير أوروبا من هتلر وأتباعه، أصبح انتصارًا لا شك فيه للجيش الأحمر والشعب السوفييتي، وهزيمة للقوات المسلحة لألمانيا وإيطاليا واليابان، وكذلك أنصارهم وحلفاؤهم، بل هو نجاح للقوى الموحدة لمعارضي أفكار العنصرية والإبادة الجماعية للبشرية على أساس عرقي وقومي.**

**إن الاعتراف بالدور القيادي الذي لعبه اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في الانتصار على الفاشية والثمن الباهظ الذي دفعه الشعب السوفييتي ثمناً لذلك، أدى إلى توحيد الناس من خلفيات وتجارب حياتية ووجهات نظر مختلفة لعقود من الزمن.**

**ولكن منذ أواخر الثمانينيات، بدأت تُسمع أصوات تزعم أن النصر في الحرب الوطنية العظمى كان مكلفًا للغاية. وأن ستالين نفسه خطط لضرب ألمانيا، لكن هتلر سبقه إلى ذلك؛ وأنه دون المساعدة الغربية لم يكن الاتحاد السوفياتي ليتمكن من هزيمة العدو؛ أخيرًا، يتم الدفع بمقولة أن المهزومين في الحرب وخاصة الألمان واليابانيين، يعيشون حياة أفضل من المنتصرين.**

**تزوير التاريخ:**

**ومن الضروري الاعتماد على الحقائق والتمييز بوضوح بين أفكار المؤرخين والدعاة، وكذلك كل من يهتم بتاريخ الحرب الوطنية العظمى حول مختلف جوانب أحداث تلك السنوات، من الرغبة في تشويه سمعة هذه الأحداث، إلى منحها أبعادًا مختلفة تمامًا، على سبيل المثال: “لا معنى لهذه الخسائر البشرية الفادحة التي لا توازي الخسائر المادية، بل لا مبرر لها “، “لقد سحق الألمان الجنود السوفيات في أكثر من موقعة، مما يعني أن الجيش السوفيتي كان سيئًا” وغيرها من عمليات التضليل المشابهة.**

**ولعله من الملِّح بشكل خاص تسليط الضوء على التشويه المتعمد للأحداث، حيث يهدف الفاعلون إلى تحقيق مكاسب أيديولوجية أو مادية من خلال مثل هذه الأفعال. يُعرف هذا التصرف بالمعنى الحرفي بتزوير الحقائق، وفي سياقنا هنا، نتحدث عن تزييف التاريخ، أي إعادة كتابة الماضي لتناسب الأهداف السياسية أو الشخصية للمزور.”**

**عند الحديث عن تزوير تاريخ الحرب الوطنية العظمى، ينبغي للمرء أن يفهم بوضوح:**

**من يخلق هذه المعلومات المزيفة ولمصلحة من؟**

**ما هي المحطات الرئيسية من تاريخ الحرب التي يتم تزويرها؟**

**ما هي الأهداف التي يسعى إليها مطورو المواد المصممة لتشويه التاريخ؟**

**ما الذي يمكن فعله لمواجهة محاولات التزوير.**

**في مجتمع المعلومات الحديث يتحدثون أيضًا عن شن حرب معلومات. يعد تزوير تاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى مثالاً على إنشاء أجندة معلوماتية تعتمد على حجج وحقائق غير موثوقة. غالبًا ما تكون مبتدعة ومختلقة ومصطنعة بطبيعتها، حيث يلعب المؤرخون الغربيون دورًا مهمًا في ذلك.**

**بداية تزوير تاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى:**

**يُعتقد تقليديًا أن تزوير تاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى بدأ خلال الحرب الباردة. ولكن على عكس هذا التوجه السائد، يمكننا تتبع أصول التزوير إلى الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفياتي وإنجلترا والولايات المتحدة حلفاء في التحالف المناهض لهتلر. مع دخول القوات السوفياتية إلى أراضي أوروبا الوسطى والشرقية في النصف الثاني من عام 1944، أصبحت العلاقات بين الاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى أكثر تعقيدًا.**

**أصدر رئيس الوزراء ونستون تشرشل تعليماته للجيش بوضع خطط لنزاع مسلح بين الإمبراطورية البريطانية والولايات المتحدة ضد قوات الجيش الأحمر. كان الهدف من الصراع هو طرد الأخيرة بالقوة من بولندا وتنظيم الدفاع عن الجزر البريطانية بعد انسحاب الولايات المتحدة من أوروبا الغربية. هذه العملية كانت تسمى بكود رمزي “ما لا يمكن تصوره”. وأوضح تشرشل خطته بالقول إن «روسيا السوفياتية أصبحت تشكل تهديداً قاتلا للعالم الحر». كان من المفترض أن تقف الوحدات العسكرية المكونة من أسرى الحرب الألمان السابقين إلى جانب البريطانيين. فعليًّا فإن تقارير الجيش البريطاني التي خلصت إلى استنتاجات مفادها بأنَّه لا يوجد ضمانات للنصر على الاتحاد السوفياتي هو الذي أوقف الاستعدادات للحرب العالمية الثالثة.**

**يمكن للأسباب نفسها أن تفسر الإجراءات اللاحقة التي اتخذتها الدول والمنظمات الأخرى. من الأسهل بكثير جعل الاتحاد السوفياتي عدوًا وتبرير الأعمال العسكرية ضده، إذا قمت أولاً بتشويه صورته وتشويه سمعته في إطار “قراءة جديدة” لنتائج الحرب العالمية الثانية. ولا شك أن هذا النهج يستمر حتى يومنا هذا، عندما حل الاتحاد الروسي محل الاتحاد السوفياتي، وعندما يتم استخدام صورة الاتحاد السوفياتي والشخصيات السوفياتية لتشويه سمعة النظام السياسي والقادة الحاليين لروسيا الحديثة.**

**تجدر الإشارة إلى أن تزوير أحداث 1939-1945. له تاريخ طويل وتظهر بشكل دوري أمثلة جديدة على عمليات تشويه الماضي. وهذا ملحوظ بشكل خاص في الذكرى السنوية الكبرى للحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى. بالإضافة إلى ذلك، يصبح المزورون أكثر نشاطًا خلال أحداث سياسية معينة. على سبيل المثال، زاد عدد المنشورات المتعلقة بسياسة الاحتلال التي يتبعها الاتحاد السوفياتي بشكل حاد خلال ربيع القرم عام 2014، ويستمر اليوم بشأن احتفالات إنزال الحلفاء في النورماندي عام 2024، وهو ما سنتطرق إليه لاحقًا.**

**ومع ذلك، إذا نظرنا إلى الماضي، يمكننا أن نرى أن أصول تزوير العديد من الحقائق التاريخية المرتبطة بالحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى، وكذلك بالفترة بأكملها من التاريخ السوفياتي، تعود إلى عصر البيريسترويكا والتسعينيات في السنوات اللاحقة. ولا تزال العديد من الأساطير قائمة، منها مثلاً: التأكيد على أن الثورة البولشفية قامت ونُفِّذت بأموال ألمانية حصراً، إلى التصريحات التي تقول إن ستالين هو الذي قرر الهجوم أولاً، وقد تمكن هتلر من استباقه … إلخ..**

**الاتجاهات الرئيسية لتزوير أحداث 1939-1945:**

**يمكن تحديد عدة مجالات رئيسية لتزوير تاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى، ومن بينها:**

**– مشاركة الجيش الأحمر في العمليات العسكرية على الأراضي البولندية في سبتمبر- أيلول 1939.**

**– أحداث 1939-1940 في دول البلطيق.**

**– المساواة بين النظامين السوفياتي والنازي، واعتبارهما نظامان توتاليتاريين بأنهما شموليان بنفس القدر ومقارنتهما بالديمقراطيات الغربية.**

**– استعدادات ستالين لحرب وقائية ضد هتلر.**

**– التقليل من شأن قوات ألمانيا النازية وحلفائها التي حاربها الجيش الأحمر.**

**– استخدام مفارز قتل المتخاذلين في القتال (المفارز العقابية)، ووصفها أنها السبب الوحيد في ثبات الجنود السوفيات في مواقعهم وتنظيم الهجمات.**

**– المبالغة في خسائر الجيش الأحمر وتعطش القيادة السوفياتية للدماء تجاه جنودها.**

**– المبالغة في دعم المحتلين من قبل المواطنين السوفيات في الأراضي التي استولى عليها الأعداء، فضلاً عن عدد قوات الشرطة والوحدات الوطنية التي دعمت ألمانيا.**

**– رفض الاعتراف بالتشكيلات الأوكرانية والبلطيقية وغيرها من التشكيلات القومية على أنها نازية، وقادتها وملهميها الأيديولوجيين (على سبيل المثال، ستيبان بانديرا) كمجرمي حرب.**

**– التقليل من دور الثوار والأنصار السوفيات في القتال ضد المحتلين. المبالغة في دور الحركات القومية مثل منظمة القوميين الأوكران، والحركة الأوكرانية القومية OUN-UPA.**

**– الإيحاء بأن انتصارات ونجاحات الجيش الأحمر وهزائم خصومه تعود إلى الظروف المناخية: الصقيع وتساقط الثلوج وعدم القدرة على السير.**

**– الإيحاء والترويج لفكرة أن نجاحات الجيش الأحمر وهزائم أعدائه تعود إلى حجم مساعدة الحلفاء (الإعارة والتأجير-ليز لاند).**

**– إسناد الدور الحاسم في انتصار الحرب العالمية الثانية في أوروبا إلى الجبهة الثانية.**

**– إسناد الدور الحاسم في انتصار الحرب العالمية الثانية على نطاق عالمي إلى مسرحي الأحداث في المحيط الهادئ وشمال أفريقيا، وليس في شرق ووسط أوروبا والاتحاد السوفياتي.**

**أمثلة على تزوير تاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى:**

**أصبحت أحداث 1939-1940 أرضًا خصبة للتزييف، في أوروبا الشرقية ودول البلطيق، مما أدى إلى ضم أوكرانيا الغربية، وغرب بيلاروسيا، وبيسارابيا، وبوكوفينا، وجمهوريات البلطيق إلى الاتحاد السوفياتي. على سبيل المثال، قام مؤلفو كتب التاريخ المدرسية في لاتفيا في القرن العشرين، والتي نُشرت بعد عام 1991، بتقييم إدخال القوات المسلحة للاتحاد السوفييتي إلى أراضي لاتفيا في صيف عام 1940 باعتباره احتلالًا لها، وما تلا ذلك من ضم لاتفيا إلى الاتحاد السوفياتي باعتبارها احتلالًا لها. الضم (القبض).**

**تقول الكتب المدرسية في عدد من البلدان في أوروبا الوسطى والشرقية، وكذلك دول البلطيق، أن ألمانيا والاتحاد السوفياتي يتحملان المسؤولية بالتساوي عن اندلاع الحرب العالمية الثانية. وتستند هذه التصريحات إلى الرغبة في التقليل من دور الاتحاد السوفياتي في أحداث 1941-1945، وكذلك دور روسيا الحديثة باعتبارها وريثة الاتحاد السوفياتي.**

**في 3 يوليو- تموز 2009، اعتمد البرلمان الأوروبي قرارًا “بشأن إعادة توحيد أوروبا المقسمة”، والذي تم فيه اقتراح يوم 23 غشت- أب، وهو يوم التوقيع على معاهدة عدم الاعتداء بين الاتحاد السوفياتي وألمانيا (ميثاق مولوتوف-ريبنتروب). ليكون يوم ذكرى ضحايا النازية والستالينية. استجابت بولندا لهذا القرار، وهي تكافح بنشاط لإزالة دور الاتحاد السوفياتي من أي انتصار على هتلر ونظامه. على سبيل المثال، في 23 سبتمبر- أيلول 2009، تبنى مجلس النواب البولندي (السييم) قراراً وصف فيه تحرير الأراضي التي احتلها بولندا في غرب أوكرانيا وغرب بيلاروسيا على يد الجيش الأحمر في سبتمبر- أيلول 1939 باعتباره عدواناً على بولندا. وهكذا، ولأول مرة على المستوى الرسمي، تم إعلان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية كمعتد وغاز، مما أدى إلى إطلاق العنان للحرب العالمية الثانية مع ألمانيا. فالشيوعية والفاشية والستالينية والهتلرية وضعت هنا على نفس المستوى، وقد تحقق انتصار الشعب السوفياتي على النازيين، بحسب واضعي القرار، رغم صلافة النظام الستاليني.**

**ولم تدين الدول الأوروبية قرار وارسو الرسمي. علاوة على ذلك، في 19 سبتمبر- أيلول 2019، اعتمد البرلمان الأوروبي قرارًا «بشأن أهمية الحفاظ على الذاكرة التاريخية لمستقبل أوروبا»، والذي بموجبه يتحمل الاتحاد السوفياتي مسؤولية اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى جانب ألمانيا -هتلر. وهذا يتجاهل سياسة ما قبل الحرب التي انتهجتها إنجلترا وفرنسا، والتي دفعت ألمانيا شرقاً على أمل أن يصبح من الممكن، بمساعدة اتفاقية ميونيخ، رشوة النازيين وتحريض الاتحاد السوفياتي ضد الرايخ الثالث.**

**انتشر تزوير تاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى على نطاق واسع في فضاء ما بعد الاتحاد السوفياتي. فالوقائع الدامغة بشأن منظمة  القوميين الأوكران المعروفة بقتل اليهود والبولنديين والروس أفضت إلى تشويه ساقط، بحيث تم تصوير حركة القوميين الأوكران OUN-UPA على أنها حركة تحرير وطني كانت تهدف إلى إنشاء دولة أوكرانية مستقلة، وكذلك تم التكتم واخفاء الحقائق التي تفيد بأن كتيبة ناخيتيغال OUN Nachtigal كانت جزءًا من وحدات أبفير  Abwehr (المخابرات العسكرية الألمانية والاستخبارات المضادة 1920-1945)، وفرقة غاليسيا كانت جزءًا من قوات الأمن الخاصة، بل ذهب الأمر إلى حد تمجيدها كمثال للنضال ضد الاتحاد السوفياتي. إن هذا التمجيد للخونة والمتعاونين يتجاوز حدود أوكرانيا. على سبيل المثال، في كل عام في يوم ذكرى الفيلق اللاتفي في 16 مارس- آذار، تجري مواكب الفيلق السابق وأنصارهم الشباب في عواصم دول البلطيق. وفي وقت من الأوقات، استبعد المجلس الأعلى لجورجيا يوم النصر – 9 ماي- أيار – من قائمة العطلات الرسمية.**

**أحد أكثر مجالات التزوير شيوعًا في الماضي والآن هو مراجعة مساهمة الشعب السوفياتي في الانتصار على ألمانيا النازية واليابان العسكرية. على سبيل المثال، فإن المؤرخين الغربيين، الذين يسلطون الضوء على مختلف المعارك الحاسمة ونقاط التحول في الحرب العالمية الثانية، يفضلون مسارح العمليات العسكرية في المحيط الهادئ وشمال إفريقيا، ويتم إعطاء الجبهة السوفياتية الألمانية مكانًا ثانويًا في تصميماتهم.**

**في السنوات الأخيرة، أصبح من الشائع تمجيد مساهمة الولايات المتحدة في الحرب والتقليل من شأن إنجازات الدول الأخرى. على سبيل المثال، عبر الرئيس الأمريكي باراك أوباما عن هذا النهج على النحو التالي: “لقد تم تحقيق النصر على جبهات الحرب العالمية الثانية إلى حد كبير بفضل الصناعة الأمريكية والموارد الأمريكية والقوى العاملة الأمريكية”؛ “لقد تم تنظيم الحرب العالمية الثانية من خلال انتصار القوات وهيئة الأركان والمقر والقيادة العليا، وجميع العناصر المكونة للجيش الأمريكي”؛ وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة دخلت الحرب متأخرة، إلا أن مساهمتها في النصر كانت حاسمة. وبدون جنودها وإنتاجهم الهائل من القنابل والسفن والطائرات، لكان الحلفاء قد هُزِموا بالتأكيد حسب قوله.**

**في عام 1953، قال الرئيس الأمريكي هنري ترومان، ردا على طلب من المؤرخين الأمريكيين حول دور الاتحاد السوفياتي في الانتصار على اليابان، إن “الروس لم يقدموا أي مساهمة عسكرية في ذلك”. ومن وجهة نظره، فإن القصف الذرّي على مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين في 6وغشت-9 أب 1945 هو الذي أجبر الحكومة اليابانية على الاستسلام.**

**ومن الواضح أن السلطات الروسية تدرك الخطر الذي يجلبه تزوير التاريخ. تحدد استراتيجية الأمن القومي للاتحاد الروسي (التي تمت الموافقة عليها بموجب مرسوم رئيس الاتحاد الروسي بتاريخ 2 يوليو- تموز 2021 رقم 400) -مشكلة تلاعب بعض الدول بالوعي العام وتزييف التاريخ لأغراض جيوسياسية. في عام 2014، تم إجراء تغييرات على القانون الجنائي للاتحاد الروسي، الذي يجرم مثل هذا الفعل باعتباره “إعادة تأهيل النازية” (المادة 354.1) – “إنكار الحقائق التي أثبتها حكم المحكمة العسكرية الدولية للمحاكمة والمعاقبة لمجرمي الحرب الرئيسيين.”**

**ومع ذلك، من أجل مقاومة معالجة الوعي من قبل المزيِّفين، من المهم جدًا أن تكون هناك كفاءات معلوماتية معينة، ولا سيما القدرة على التمييز بين الحقائق والبيانات العلمية الموثوقة ومبرراتها الأيديولوجية، فضلاً عن القدرة على الإدراك النقدي للإصدارات المختلفة من المعلومات التاريخية.**

**تزوير التاريخ الروسي كعنصر من عناصر الدعاية المناهضة لروسيا**

**غالبًا ما تكون محاولات تزوير التاريخ جزءًا من الدعاية المناهضة لروسيا في البلدان القريبة والبعيدة في الخارج. وهي، كقاعدة عامة، مرتبطة بالمصالح السياسية والمادية الحالية لبعض القوى المعنية، وهي مصممة للمساعدة في إثبات المطالبات الإقليمية المادية ضد الاتحاد الروسي تحت ستار التعويض عن الضرر المزعوم الذي حدث في فترة ما.**

**إن مواجهة هذه المحاولات أمر مهم من وجهة نظر مصالح الدولة الروسية وحماية الذاكرة الاجتماعية للروس. وقد صرح بذلك قادة الدولة الروسية مراراً وتكراراً. كان رد الدولة الروسية على هذا التحدي هو إنشاء لجنة برئاسة رئيس الاتحاد الروسي لمواجهة محاولات تزوير التاريخ على حساب مصالح روسيا.**

**سياسة الدولة للاتحاد الروسي لمواجهة محاولات تزوير تاريخ روسيا:**

**تم تحديد المهام والاتجاهات الرئيسية لسياسة الدولة للاتحاد الروسي لمواجهة محاولات تزوير تاريخ روسيا في مرسوم رئيس الاتحاد الروسي دميتري ميدفيديف بتاريخ 15 ماي- أيار2009 رقم 549 “بشأن اللجنة التابعة لرئيس الاتحاد الروسي لمواجهة محاولات تزوير التاريخ على حساب مصالح روسيا”.**

**حدد مرسوم رئيس الاتحاد الروسي مهام اللجنة باعتبارها هيئة حكومية مكلفة بتنسيق أنشطة الدولة والمؤسسات العامة في مجال مكافحة محاولات تزوير التاريخ. وتشمل هذه المهام على وجه الخصوص ما يلي:**

**أ) تعميم وتحليل المعلومات المتعلقة بتزوير الحقائق والأحداث التاريخية التي تهدف إلى التقليل من المكانة الدولية للاتحاد الروسي، وإعداد التقارير ذات الصلة إلى رئيس الاتحاد الروسي؛**

**ب) وضع استراتيجية لمواجهة محاولات تزوير الحقائق والأحداث التاريخية من أجل الإضرار بمصالح روسيا؛**

**ج) إعداد مقترحات لرئيس الاتحاد الروسي بشأن تنفيذ التدابير الرامية إلى مكافحة محاولات تزوير الحقائق والأحداث التاريخية التي تضر بمصالح روسيا؛**

**د) النظر في المقترحات وتنسيق أنشطة الهيئات الحكومية الفيدرالية والهيئات الحكومية للكيانات المكونة للاتحاد الروسي والمنظمات، بشأن قضايا مكافحة محاولات تزوير الحقائق والأحداث التاريخية على حساب مصالح روسيا؛**

**هـ) وضع توصيات للرد المناسب على محاولات تزوير الحقائق والأحداث التاريخية على حساب مصالح روسيا وتحييد عواقبها السلبية المحتملة.**

**غالبًا ما تقتصر مشكلة تزوير التاريخ الروسي في الوعي الجماهيري على عدم جواز مراجعة نتائج الحرب الوطنية العظمى. وفي الوقت نفسه، فإن مشكلة تزوير التاريخ الروسي أوسع بكثير؛ فهي معقدة ومؤلمة في عدد من الجوانب للوعي التاريخي للروس.**

**لكن لا يقل أهمية عن ذلك منع، وتحت ستار استعادة العدالة التاريخية، تبرير أولئك الذين دمروا شعبهم. وصحيح أيضًا أن ارتكابات ستالين لا يمكن أن تنتقص من مآثر الأشخاص الذين انتصروا في الحرب الوطنية العظمى. لكن ستالين جعل روسيا قوة صناعية قوية، رفع من مستوى الصناعة والعلوم والثقافة إلى المستوى العالمي. فقبول الماضي كما حدث هو نضج في الموقف من قضايا التاريخ وليس تأففا من نتائجه. من المهم بنفس القدر دراسة الماضي والتغلب على اللامبالاة والرغبة في نسيان جوانبه المأساوية.**

**بعض أشكال تزوير تاريخ الحرب العالمية الثانية والوطنية العظمى:**

**منذ أسابيع احتفلت فرنسا بالذكرى الثمانين لإنزال الحلفاء في النورماندي، والذي أصبح أحد الأحداث الرئيسية في الحرب العالمية الثانية. أقيم الاحتفال الذي حضره خمسة وعشرون رئيس دولة وحكومة، من بينهم الرئيس الأمريكي جو بايدن والملك البريطاني تشارلز الثالث والرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي، على شاطئ أوماها. وأقام الجانب الروسي، الذي لم تتم دعوته للمشاركة في الاحتفالات، مراسمه الخاصة بوضع الزهور على دفن طياري فوج نورماندي-نيمين الجوي الفرنسي في موسكو.**

**وهكذا في ظل الانقسام في التحالف المناهض لهتلر، يعتبر تجمع الحلفاء الغربيين السابقين لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في فرنسا فرصة لتعزيز التحالف ضد روسيا لدعم أوكرانيا.**

**لكل نورماندي خاص به:**

**يقع شاطئ أوماها على ضفاف القناة الإنجليزية شمال النورماندي، حيث حدث إنزال حلفاء التحالف المناهض لهتلر في 6 يونيو- حزيران 1944 خلال عملية “أوفرلورد”، وها نحن بعد ثمانين عامًا نشهد مجددا  انزالاً كبيرًا للقادة الغربيين. على ما يظهر «تُبذل جهود مكثفة لإعادة كتابة التاريخ، وتُثار غرائز معينة لا تساهم إطلاقاً في تعزيز العلاقات الروسية-الفرنسية والأوروبية، التي كانت لعقود من الزمن واحدة من العوامل الأساسية لضمان الأمن الأوروبي».**

**ويبدو أن هناك في فرنسا من لا يتذكر الجنرال شارل ديغول، والمساهمة التي قدمها ليس فقط في هزيمة الفاشية والنازية، بل أيضاً في تأسيس فرنسا ككيان سيادي في القانون الدولي، الذي يمكنه التحدث بصوت مستقل على الساحة الدولية. فالصورة اليوم مختلفة تماماً، إذ يتم اتباع نهج معاكس مناهض لأفكار ديغول نفسه، لتتحول فرنسا إلى طليعة القوى الأكثر عداءً لروسيا في الناتو والاتحاد الأوروبي.**

**في المقابل فإن موسكو لا تنوي التخلي عن تاريخها المشترك مع فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية. ففي عام 1941، خلال أصعب فترات الحرب الوطنية العظمى، تقدم زعيم المقاومة الفرنسية الجنرال ديغول إلى الحكومة السوفياتية باقتراح لإرسال متطوعين عسكريين إلى الاتحاد السوفياتي، وإن كان هناك عدد قليل منهم – 14 طيارًا و58 ميكانيكي طائرات، لكنهم قاتلوا بشجاعة جنبًا إلى جنب مع الجنود والضباط السوفيات وساهموا في النصر في معركة كورسك الاستراتيجية، وفي تحرير أراضي بيلاروسيا وليتوانيا السوفياتية، وفي الهجوم وتحرير كونيجسبيرج.**

**وفي ظل هذا التشدد الفرنسي، نرى في مقابله موقفا أميركيا أكثر مرونة. ففي النورماندي لم يستطع هؤلاء نفي الدور الأكبر للاتحاد السوفياتي الذي كان حليفًا في الحرب العالمية الثانية، واعترافها بأنه من المؤكد أنه شارك بعمق في هزيمة ألمانيا النازية وتم الاعتراف أكثر بما قاساه وعاناه الشعب السوفياتي، وخاصة الشعب الروسي خلال الحرب العالمية الثانية.**

**ورغم المكابرة في هذا الاعتراف، فقد ركز بعض المسؤولين على الدور الذي قامت به القوات الجوية الأمريكية في هزيمة الاستبداد والفاشية في أوروبا”، وبرأيهم فإنه قبل 80 عاما، حققت أمريكا السيطرة على السماء على شواطئ النورماندي، والتي احتفظت بها حتى يومنا هذا. برأيهم فإن تفوق أمريكا في الجو وفي الفضاء أصبح منذ ذلك الحين طويلاً ومستمرًّا ولا يتزعزع، ووفقا لهؤلاء فإنه ورغم مرور هذه الفترة الطويلة  فإن الهيمنة الجوية الأمريكية على الجناح الشرقي لحلف شمال الأطلسي اليوم هي التي تمنع موسكو من توسيع عمليتها العسكرية الخاصة في أوكرانيا.**

**يشار إلى أن واشنطن لا تنوي الانضمام إلى تحالف المدربين العسكريين أو الوحدات العسكرية التي تشكلها باريس لإرسالها إلى أوكرانيا. هذا ما أكده مساعد الأمن القومي الأميركي جاك سوليفان الذي رافق جو بايدن في رحلته. فقد أعلن: “نحن لا نخطط لإرسال مستشارين عسكريين أو أفراد عسكريين أو مدربين لتدريب الأوكران في أوكرانيا. سأشير أضاف المساعد:” إلى أن الولايات المتحدة أنشأت بنية تحتية مهمة في ألمانيا للتحضير. وقاموا بتدريب آلاف الجنود الأوكران على استخدام المعدات الغربية الصنع”. يتذكر جاك سوليفان، الذي قال إن تدريب الأوكرانيين خارج أوكرانيا سيستمر بالتنسيق الوثيق مع حلفاء وشركاء الولايات المتحدة: “نحن على استعداد لمواصلة هذا التدريب، بل وتوسيع نطاقه”. وأضاف: “سنكون قادرين على مناقشة رأيهم في هذا الأمر مع الرئيس الفرنسي ومسؤولي فرنسا”. (يتبع)**

**التزوير في التاريخ الروسي والحرب العالمية (2-4)**

* [د. زياد منصور](https://assoual.com/archives/author/ziadmansour)

* [21/06/2024](https://assoual.com/archives/44008)

* [تقارير وتحقيقات](https://assoual.com/archives/category/reports-and-investigations)

**مقولة أن الشتاء هو سبب انتصار الروس وأن إنزال النورماندي هو سبب هزيمة ألمانيا وانتصار الحلفاء**

**تخرصات تاريخية وبدع تضليلية ببعد أيديولوجي ماكر**

**د. زياد منصور**

**الغزو النورماندي: كيف تم فتح الجبهة الثانية في أوروبا؟**

**قبل 80 عاما، في 6 يونيو – حزيران 1944، بدأ إنزال القوات البريطانية والأمريكية في النورماندي- شمال فرنسا. دخل هذا التاريخ باسم يوم   D D-Day – فتح جبهة ثانية في أوروبا الغربية. ونتيجة لعملية إنزال كبرى في أوروبا، فتحت الجبهة الغربية، التي بدأت في صد النازيين في فرنسا، بينما سحق الاتحاد السوفياتي أفضل وأمهر الفرق النازية في أوروبا الشرقية.**

**جنبا إلى جنب مع الأمريكيين والبريطانيين، شارك جنود وضباط من كندا وأستراليا ونيوزيلندا ووحدات من الفرنسيين والبولنديين والهولنديين وغيرهم من المناهضين للفاشية في عمليات الإنزال. وكان على العالم أن يرى أن ألمانيا هتلر أصبحت وحيدة تقريباً ومعزولة، في مواجهة الإنسانية جمعاء.**

**الحديث عن فتح جبهة ثانية بدأ منذ نهاية عام 1941، خلال لقاء بين رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل وجوزيف ستالين. لكن الأمر اقتصر على الوعود والعمليات التحضيرية. وفي الأشهر الحاسمة من الحرب، قاتل الجيش الأحمر النازيين دون دعم قتالي من الحلفاء. وبعد معركة كورسك، قال الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت إنه “إذا استمرت الأمور في روسيا كما هي الآن، فمن المحتمل ألا تكون هناك حاجة في الربيع المقبل لجبهة ثانية”. لم يكن بوسع لندن وواشنطن السماح بذلك – ولم تكونا في عجلة من أمرهما لفرض إنزال واسع النطاق في أوروبا. لكنهم انتقلوا من الكلام إلى الفعل في اللحظة الأخيرة فقط، عندما شعروا أن الجيش الأحمر سيصل إلى حدود الاتحاد السوفياتي خلال شهر أو شهرين ويبدأ مسيرة التحرير نحو الغرب.**

**في نوفمبر – تشرين الثاني 1943، في مؤتمر طهران لقادة الدول “الثلاثة الكبار” في التحالف المناهض لهتلر، عندما سأل جوزيف ستالين مباشرة ونستون تشرشل عن الموعد المتوقع لنزول الحلفاء في فرنسا، أجاب بشكل مراوغ: “متى؟ عندما يحين الوقت، سنعتبر أن من واجبنا الذي لا يتزعزع أن نتقدم عبر لامانش ضد الألمان بكل القوات المتوفرة لدينا.» لكن هذه اللحظة لم تحل إلا في أوائل صيف عام 1944.**

**حملت العملية الاسم الرمزي “أوفرلورد” (الذي يعني “الحاكم” بالإنجليزية). اسم الجزء الأول منها – الإنزال – لم يكن بحاجة إلى ترجمة: “نبتون”. كان قائد القوات دوايت أيزنهاور، الذي أصبح فيما بعد رئيس الولايات المتحدة. كان أيزنهاور واحدًا من بين العديد من القادة العسكريين الأمريكيين الذين فهموا أن الحرب لا يمكن إنهاؤها بضربة واحدة. حتى أنه أعد تقريرًا سريًا في حالة الفشل، يحمل فيه نفسه مسؤولية الفشل. أما أهم ثاني منصب – قائد القوات البرية – فتولاه الجنرال البريطاني برنارد مونتغمري. ترأس الجنرال البريطاني الآخر فريدريك مورغان هيئة القيادة العليا لقوات الحلفاء الاستطلاعية، وكان مسؤولاً عن تخطيط العملية.**

**في البداية، تم التخطيط للإنزال في شهر ماي – أيار 1944، ولكن بسبب التأخير في تجهيز الوحدات العسكرية وانتظار الطقس المناسب، تم تأجيل العملية إلى بداية الصيف.**

**معركة شواطئ النورماندي:**

**حولت عملية الإنزال الشواطئ الفرنسية الشهيرة إلى ساحات معارك. كان البريطانيون يعملون على شاطئي غولد وسورد، والأمريكيون على شاطئي يوتا وأوماها، والكنديون على شاطئ جونو. تم الإنزال من السفن عبر القناة الإنجليزية، ومن الجو باستخدام المظلات والطائرات الشراعية. بدا أن الخطة مدروسة بعناية فائقة، حيث عملت القيادات عليها لأشهر، لكن السيطرة على المواقع كانت مهمة صعبة.**

**صدَّ الألمان أول موجتين من الإنزال، ولم يتمكن جنود جيش أيزنهاور من السيطرة على الشاطئ الرملي إلا مساء السادس من تموز. قضى الحلفاء يومين كاملين دون أن يتمكنوا من التقدم إلى الأمام، متمسكين بالشريط الساحلي الذي سيطروا عليه. قام الألمان بهجمات مضادة. واجه الأمريكيون مقاومة شديدة من القوات الهتلرية على شاطئ أوماها، حيث تكبدت قوات أيزنهاور خسائر كبيرة. ومن الجدير بالذكر أن الجنرال الأمريكي الوحيد الذي نزل على شاطئ نورماندي مع وحدته كان ثيودور روزفلت الابن، ابن الرئيس الأمريكي السابق تيدي روزفلت (يجب ألا نخلط الاسم مع اسم الرئيس آنذاك فرانكلين روزفلت، الذي يحمل نفس الاسم).**

**ومع ذلك، تمكن الحلفاء من مفاجأة الألمان؛ إذ كانوا يتوقعون الإنزال في منطقة بادو كاليه أو بولوني، في أكبر الموانئ. كانت تلك المناطق هي الأكثر تعرضًا للقصف من قبل الحلفاء. لكن العقول البريطانية العسكرية اقترحت الإنزال على الشواطئ الرملية، حيث لم يكن لدى الألمان دفاعات عميقة، ويمكن الاستيلاء على المواقع هناك. وكان لهذه الفكرة غير التقليدية أهمية؛ إنزال جيوش تعد بالآلاف بعيدًا من الموانئ والمدن الكبرى، وتحقيق التفوق الجوي في النورماندي لم يكن صعبًا بسبب قرب المطارات البريطانية النسبي.**

**تم ضمان نجاح الحلفاء من خلال التفوق الكبير في القوات والمعدات: شارك أكثر من 3 ملايين عسكري في عملية الانزال البري والجوي (على الرغم من أن نقل الجنود إلى نورماندي استغرق ما يقرب من شهرين). لقد كان في مواجهتهم أقل من مليون من النازيين على طول الساحل بأكمله، وثلاث فرق لم تكن من أفضل الفرق. كان نصف الجنود في الألوية القتالية التي كانت تدافع عن النورماندي من الألمان الأصليين المتحمسين، بينما الربع على الأقل كانوا من الجرحى أو المعاقين، أو المشوهين في القتال في الحقول الروسية. بقية القوات كانت من المساندين والمؤيدين للنازية من كل أنحاء أوروبا. استسلم جزء كبير من هؤلاء الجنود للقوات الأمريكية والبريطانية دون قتال. إجمالًا، فإن وحدات الفيرماخت التي كانت تحرس الساحل لم تكن قادرة بشكل كبير على المواجهة.**

**بلغ عدد النازيين في النورماندي فعليًّا، حوالي 20 ألفًا. وفي الوقت نفسه، شارك 156 ألفًا في الصف الأول من الانزال الأنجلو أمريكي وحده، وقد ضمن التفوق في الطيران نجاح الهجوم الجوي بحوالي 20-25 مرة. أنشأ النازيون على عجل نظامًا من التحصينات الساحلية يحمل الاسم الصاخب “الجدار الأطلسي”. ولكن اتضح أنه كان جدارًا هشًّا. وبطبيعة الحال، كانت هناك حقول ألغام تحت الماء، وعدد من الدشم المنيعة، ومرابض المدفعية المحصنة. كل هذا لم يكن كافيًا بالنسبة لإستراتيجيي الرايخ الثالث، إذ لم يتمكنوا من بناء جدار عصي على الاختراق.**

**نهاية صعبة للحرب**

**أول مدينة فرنسية تم تحريرها كانت سانت مير إيجليز، والتي تم احتلالها عن طريق الانزال بالمظلات عند الفجر. ولكن، بشكل عام، لم يكن من الممكن تطوير النجاحات الأولى بسرعة. احتشد الألمان ومنعوا المزيد من تقدم الأمريكيين والبريطانيين في شهر حزيران. بحلول نهاية شهر تموز فقط، تمكنت قوات الجنرال أيزنهاور من إنشاء رأس جسر استراتيجي ضروري للتقدم إلى الحدود الألمانية. على الجبهة الشرقية، عملت 236 فرقة و18 لواء ضد الجيش الأحمر. ولكن بحلول منتصف الصيف، تمكنت القوات السوفياتية خلال عملية “باغراتيون” من تحرير بيلاروسيا، وهزمت مجموعة الجيوش الوسطى. ومن نواحٍ عديدة، كانت الكوارث على الجبهة الشرقية هي التي منعت النازيين من التمكن من إيقاف الأمريكيين والبريطانيين في النورماندي لفترة أطول. لعل هذه الحقيقة هي ما يتم غض النظر عنها إلى يومنا هذا.**

**في شهر أب، وصلت القوات السوفياتية إلى حدود الرايخ الثالث. وهكذا، كان الاستيلاء على برلين من قبل قوات الجيش الأحمر محددًا مسبقًا، دون مشاركة الحلفاء – وهو ما يتعارض مع آمال تشرشل، الذي كتب بتفاؤل إلى روزفلت في بداية عملية أوفرلورد: “قد ينتهي الأمر أن النصر الذي حققته جيوشنا في نورماندي سوف يفوق في عظمته كل ما حققه الروس”. لم ينس السير ونستون المنافسة مع موسكو لمدة دقيقة واحدة حتى – وكالعادة، استبدل أحيانًا الحقيقة القاسية للحرب بالعواطف. كان روزفلت أكثر تحفظا إلى حد ما، مدركا أن العبء الرئيسي في معارك الجبهة الثانية – العسكرية والاقتصادية – سيقع على عاتق الأميركيين.**

**ألاعيب الحلفاء:**

**كتب ونستون تشرشل إلى جوزيف ستالين في ذلك المساء نفسه، دون أن يخلو ذلك من التفاخر: «لقد بدأ كل شيء على ما يرام. تم التغلب على الألغام والعوائق والبطاريات الساحلية إلى حد كبير. لقد كانت الهجمات الجوية ناجحة للغاية وتم تنفيذها على نطاق واسع”. يمكن فهم تشرشل: لقد تجاوز الانزال بالفعل من حيث الأهمية الاستراتيجية جميع الإجراءات السابقة للحلفاء على “الجبهات الثانوية والفرعية” (في أفريقيا في المقام الأول) – وحاول السير ونستون (وكذلك روزفلت، الذي أقام صلاة علنية من اجل جنوده) بكل ما في وسعه لجعل مشروعه لائقًا به.**

**جاء الرد السوفياتي لطيفا، فهنأ روزفلت في برقية خاصة، وبعد أسبوع تم ذلك بشكل علني، في مقابلة مع صحيفة برافدا، أعرب ستالين عن تقديره الكبير لنجاح الحلفاء، مشيرًا إلى أن الألمان كانوا قد فشلوا في عملية مماثلة لو قاموا هم بها. “هيستيريا هتلر، الذي تفاخر لمدة عامين بأنه سينفذ عملية عبور لامانش، لم يجرؤ حتى على محاولة تنفيذ تهديده. فقط القوات البريطانية والأمريكية نجحت بكرامة في تنفيذ الخطة الضخمة لعبور لامانش وإنزال القوات البرية بشكل جماعي”. كتب ستالين! من المؤكد أن البريطانيين والأمريكيين شعروا بالإطراء لقراءة هذه الكلمات.**

**المعركة في النورماندي حشدت ووحدت حقاً صفوف الحلفاء قبيل آخر معارك الحرب العالمية الثانية. أما هتلر، المحاصر بين فكين من الجبهات، فكان يعول الآن فقط على معجزة، والأكثر من ذلك كان يأمل في نزاع غير متوقع بين الإنجليز والأمريكان مع “البلاشفة”. كانت العلاقات بين الحلفاء حقاً ليست على ما يرام. حتى المعلومات العسكرية السرية كانت تحصل عليها موسكو كانت تحصل عليها ليس من المصادر الرسمية، بل من خلال الجواسيس، وبشكل خاص من “مجموعة كامبريدج الخمسة” الشهيرة (حلقة جواسيس كامبريدج هي حلقة من الجواسيس في المملكة المتحدة، نقلت المعلومات إلى الاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية وكانت نشطة من ثلاثينيات القرن العشرين وحتى على الأقل أوائل الخمسينيات. لم يُحاكَم أيٌّ من أعضائها على الإطلاق بتهمة التجسس).**

**التاريخ والدعاية:**

**في الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا، تعتبر عملية “أوفرلورد” هي المعركة الحاسمة تقريبًا في الحرب العالمية الثانية. تستمر الدعاية لهذا الأمر حتى يومنا هذا. وفي هذا اليوم، وفي كل عام يأتي رؤساء العديد من الدول الغربية إلى فرنسا للاحتفال، مما يؤكد على أهمية الحدث بالنسبة إليهم. في الواقع فإن كل هذا مبالغ فيه إلى حد كبير. لماذا؟**

**لقد خسرت القوات النازية في نورماندي أقل من نصف مليون من القتلى والجرحى والأسرى. حجم المواجهة لا يمكن مقارنته بالمعارك التي خاضها الجيش الأحمر، الذي يحاول الآن أصدقاء روسيا السابقون في التحالف المناهض للنازية ببساطة عدم ذكره في المنتديات المخصصة لانتصاراتهم على الطاعون البني. وهذا الصمت أكثر تعبيراً من الكثير من الكلمات.**

**عسكرياً، كان الإنزال كبير الحجم، لكنه لم يكن بأهمية تكتيكية واستراتيجية كبيرة في سياق الحرب. كان المعنى السياسي للعملية أهم بكثير: بعد الإنزال في النورماندي، تلاشت العديد من التناقضات التي كانت تتراكم في التحالف المناهض للنازية. أصبح واضحاً أن الجبهة الثانية أصبحت حقيقة في المرحلة النهائية من الحرب، وأن الألمان سيفقدون جزءاً كبيراً من الاحتياطيات لإعادة نشرها على الجبهة الشرقية. بلا شك، أسهم ذلك في اقتراب هزيمة ألمانيا النازية.**

**البعد التزويري يتجاوز العقل:**

**يظهر النشاط التزويري الأكبر في هذا الصدد من قبل ممثلي الهياكل الرسمية لدول أوروبا الشرقية والوسطى، التي كانت ذات يوم حليفة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، وعلاوة على ذلك، حصلت نتيجة لذلك على الحرية والاستقلال والحق في الوجود المادي، بفضل تحريرهم من قبل الجيش الأحمر في 1944-1945.**

**وكان من المهم في هذا الصدد تصريح وزير خارجية بولندا جرزيجورز يوليوس شيتينا Grzegorz Juliusz Schetyna الذي صرح في أن معسكر الموت النازي أوشفيتز (\*)، الواقع على أراضي هذا البلد، تم تحريره على يد الأوكران، ولكن ليس على يد الجنود السوفيايت. لقد كان الأوكران، في رأيه، “في أيام كانون الثاني تلك، هم من فتحوا البوابات وحرورا أسرى هذا المعسكر.**

**وعلى هذا فقد قام مسؤول بولندي رفيع المستوى بعزل الأوكرانيين عمداً عن الجيش الأحمر، الذي حرر هذا المعسكر وكل معسكرات الموت النازية الأخرى، فضلاً عن بولندا نفسها. أكثر من 600 ألف جندي وضابط سوفياتي ضحوا بحياتهم أثناء تحرير بلاده، وأصيب أكثر من مليون شخص، ولكن كل هذا بالنسبة لشيتينا وأمثاله من الموظفين الأوروبيين ليست حججاً مقنعة حول دور الجيش الأحمر، أو بالأحرى، ليست الحجج المطلوبة التي تتطلبها اللحظة السياسية الراهنة.**

**يشار إلى أن هذا التصريح صدر في ذروة الأزمة الأوكرانية، التي بدأها انقلاب فبراير – شباط 2014، من دون عدم مشاركة ممثلين عن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في تحضيره، بما في ذلك القيادة البولندية. ولذلك فإن هذا الكلام الاستفزازي العلني بطبيعته يهدف إلى إهانة قيادة روسيا بشكل متعمد، بل والاتحاد الروسي نفسه، وهو الوريث الشرعي للاتحاد السوفياتي، الذي هزم الفاشية في الحرب الوطنية العظمى.**

**والأكثر سخافة واستفزازًا هو التصريح الذي أدلى به رئيس وزراء أوكرانيا أ. ياتسينيوك A. Yatsenyuk في 8 يناير – كانون الأول 2015 خلال زيارة إلى ألمانيا. كان جوهرها أن أوكرانيا وألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية عانتا بالتساوي من غزو القوات السوفياتية. وهذا، على ما يبدو، ليس مجرد “سقطة فرويدية”، بل هذا هو الموقف المبدئي لياتسينيوك بعد أن وصل إلى السلطة وسط موجة من الذهان والهوس القومي في الميدان واكتسب في بلاده لقبًا فيه الكثير من الازدراء ومرتبط بسعيه للصدمات في التصريحات الفجائية، بل هو كشف عن نفسه أمام المجتمع العالمي. في المقام الأول، من خلال رهابه العدائي من روسيا ورغبته في تعميق الخلاف بين شعبي البلدين. ولهذا، بالطبع، من الضروري إعادة كتابة التاريخ، ما في ذلك تاريخ الحرب الوطنية العظمى، واستئصال كل ما هو إيجابي من وعي المواطنين الأوكران والذي يرتبط بطريقة أو بأخرى بروسيا.**

**هذه التصريحات تكررت كثيرًا حتى في يومنا هذا، وهي تدعم الإجراءات العملية التي اتخذتها السلطات الأوكرانية الحالية. وهكذا، على وجه الخصوص، بموجب مرسوم من رئيس أوكرانيا، تم تحديد يوم عطلة وطنية جديدة – يوم الذكرى والمصالحة، الذي من المفترض أن يتم الاحتفال به في 8 ماي – أيار، كما هو الحال في أوروبا (\*). وفقًا لأهداف المرسوم، يجب أن تتم المصالحة بين الذين قاتلوا ضد النازيين لتحرير أوكرانيا وأولئك الذين أطلقوا النار على هؤلاء من الخلف، ونفذوا عمليات عقابية بأوامر من نفس النازيين ضد السكان المدنيين وارتكبوا جرائم أخرى أدانتها محكمة نورمبرغ، بما في ذلك ضمن قوات الاحتلال. ولكن وفقًا لمنطق السلطات الأوكرانية الحالية، فإن هؤلاء هم الأبطال الحقيقيون لأوكرانيا، كما يتضح من عمليات تمجيد القوميين من منظمة القوميين الأوكرانيين (OUN) والجيش الأوكراني المتمرد (UPA)، الذين خدم عدد كبير منهم في فرقة فافن غرينادير إس إس الرابعة عشرة ” غاليسيا” خلال الحرب العالمية الثانية (\*).**

**وهذه هي نتائج تزوير أحداث في تاريخ الحرب الوطنية العظمى في دولة مجاورة لروسيا، والتي تمت طوال فترة استقلالها التي دامت 25 عاماً تقريباً. هذه النتائج منطقية تماما، لأن التزوير نفسه تم تحت الرعاية المباشرة للهيئات الحكومية الأوكرانية. وكانت نتيجة عملية التزييف هذه هي إعادة صياغة الوعي العام الأوكراني، وخاصة بين الشباب، المبرمجين بالفعل على كراهية روسيا وكل ما يرتبط بها.**

**وبالمثل، يتم تنفيذ عمليات تزوير تاريخ ونتائج الحرب الوطنية العظمى في بعض بلدان ما بعد الاتحاد السوفياتي. وهكذا، في دول البلطيق، يتم زرع فكرة الاحتلال السوفييتي لدول البلطيق عام 1940 بشكل مقصود، على الرغم من أن دخولها إلى الاتحاد السوفياتي تم وفقًا لقرار سلطات الدولة في هذه الدول بعد الإطاحة بالأنظمة الديكتاتورية لأنتاناس سميتونا  لـ A. Smetona (في ليتوانيا)، وكارلسيس . أولامانيس  وK. Ulmanis (في لاتفيا)، وقسطنطين  باتس  K. Päts (في إستونيا). بعد احتلال ألمانيا النازية لهذه الدول، قاتل الآلاف من اللاتفيين والليتوانيين والإستونيين في صفوف الجيش الأحمر. في الوقت نفسه، تعاون جزء كبير من سكان هذه البلدان بنشاط مع الفاشيين، مثل المتعاونين القوميين الأوكران، شاركوا في العمليات العقابية في الأراضي المحتلة، في المقام الأول في بيلاروسيا وروسيا وأوكرانيا. إن هؤلاء (المتعاونين) هم الذين تعترف بهم سلطات هذه البلدان كأبطال قوميين، كما يتضح من المسيرات المنتظمة لفيلق قوات الأمن الخاصة (أس-أس) الذين قاتلوا إلى جانب النازيين خلال الحرب العالمية الثانية في تالين وريغا.**

**لقد ذهبت ليتوانيا إلى أبعد من ذلك في رهابها غير القابل للتسوية من روسيا ورغبتها في تشويه سمعة دور الاتحاد السوفياتي خلال الحرب العالمية الثانية قدر الإمكان، حيث تم إعلان رموز الاتحاد السوفيتي، وبطبيعة الحال الجيش الأحمر الذي حرر ليتوانيا في عام 1944، كرموز شمولية ومحظور استخدامها تحت طائلة الملاحقة الجنائية. وبناءً على ذلك، تم حظر ارتداء الأوسمة العسكرية وغيرها من شارات التمييز من قبل قدامى المحاربين في الحرب الوطنية العظمى.**

**يبدو أن إعادة تأهيل الفاشية ومساعديها هي الهدف الرئيسي لتزييف أحداث الحرب العالمية الثانية. فالاتجاه الرئيسي لهذا التزييف هو التشويه المتعمد لدور الاتحاد السوفياتي في أحداث الحرب العالمية الثانية. الهدف من هذا التزييف واضح – وهو تشويه سمعة الدولة التي تحملت العبء الرئيسي ولعبت دوراً حاسماً في النصر على الفاشية. لا يزال مختلف أنواع المعادين لروسيا غير قادرين على تقبل هذا، ويحاولون بكل الوسائل الممكنة تحريف أو التقليل من دور روسيا في الحرب العالمية الثانية وتحميلها مسؤولية بعض تصرفات القيادة السوفياتية.**

**كل هذا يعتبر إهانة ليس فقط للمحاربين القدامى الأحياء في الحرب الوطنية العظمى، بل ولذكرى جميع المشاركين في الحرب العالمية الثانية، بما في ذلك ضحاياها العديدين.  يذكر أن الفاشية مُدانة من قبل المجتمع الدولي، وأدين أيضًا كل من تعاون مع النازيين بنشاط، بغض النظر عن جنسياتهم أو معتقداتهم الدينية أو انتماءاتهم الأيديولوجية. إن محاولات إعادة التأهيل، بل وتلميع صورة هذه الفئة من الأشخاص، ليست إلا محاولات لإعادة تأهيل الفاشية، ويجب أن يتم النظر إليها من قبل المجتمع الدولي على هذا النحو.**

**ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه الأفعال الشنيعة تُنفذ بتواطؤ من المجتمع الأوروبي من خلال هيئاته الإدارية فوق الوطنية، التي تشارك أيضًا بنشاط في هذه العمليات. ولا عجب في هذا السياق أن تصدر الجمعية البرلمانية لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا قرارًا فضائحيًا يساوي بين مسؤولية الاتحاد السوفياتي وألمانيا عن اندلاع الحرب العالمية الثانية، والذي تم اعتماده في العاصمة الليتوانية فيلنيوس في 3 يوليو- تموز 2009.**

**هذا يُشير إلى استراتيجية مُمنهجة لتزييف أحداث الحرب الوطنية العظمى، ومحاولات إضعاف الانتصار على الفاشية. والهدف من هذه الاستراتيجية هو محاولة إجبار روسيا، بصفتها الوريث الشرعي للاتحاد السوفياتي، على الاعتذار عن النصر وتعويض دول أوروبا الشرقية والوسطى عن الخسائر المزعومة التي لحقت بهم نتيجة لهذا النصر. لا شك أن هذه العمليات خطيرة للغاية.**

**لكن الأمر الأكثر خطورة هو عمليات تزوير أحداث وتاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى، والتي تهدف إلى إعادة تشكيل وعي المجتمع الروسي نفسه. تماما مثل سكان دول شرق ووسط أوروبا، فعلى مدى العقدين الماضيين، تم التعامل مع الرأي العام في روسيا بأنواع مختلفة من التزييف فيما يتعلق بأحداث الحرب الوطنية العظمى.**

**بالفعل في أوائل تسعينيات القرن العشرين، امتلأ الفضاء المعلوماتي الروسي بأعمال في. ريزون، وهو ضابط سابق في مديرية المخابرات الرئيسية للقوات المسلحة للاتحاد السوفياتي، والذي جندته المخابرات البريطانية وانشق في النهاية وفرَّ إلى المملكة المتحدة، فأعمال وكتب ومؤلفات ريزون كمثل “كاسحة الجليد”،” اليوم -م”،” التطهير”، وما إلى ذلك. كلها مكرسة لما يسمى -بالنظرة البديلة لأحداث الحرب الوطنية العظمى، والتي يتمثل جوهرها في أن هجوم ألمانيا النازية على الاتحاد السوفياتي كان فقط بسبب رغبتها في حماية نفسها من عدوانية وصلف السوفيات. ولذلك فإن الحرب التي شنتها قيادة هتلر كانت، كما يتبين من هذه الكتب، وقائية، وبالتالي مبررة. تم إدخال هذه الأيديولوجية بنشاط في وعي أولئك الذين حكموا على الحرب فقط من خلال الكتب والأفلام.**

**لعبت ما يسمى منح مؤسسة الملياردير جورج سوروس دورًا لا يقل أهمية في تزوير التاريخ الروسي بشكل عام وأحداث الحرب الوطنية العظمى على وجه الخصوص. تم إعطاء هذه المنح بحجة تقديم المساعدة المالية لممثلي المجتمع العلمي، الذي وجد نفسه في ظروف أزمة مالية واقتصادية حادة ناجمة عن أخطاء وحسابات خاطئة للإصلاحيين الروس في التسعينيات، وكانت هذه المنح انتقائية بطبيعتها وتم منحها فقط لأولئك الذين درسوا تاريخ روسيا، وخاصة الفترة السوفياتية، بطريقة مغايرة وسلبية حصرًا.**

**وبالتالي، في الواقع، تم تنفيذ التلقين الأيديولوجي، أولا وقبل كل شيء، من قبل المجتمع الأكاديمي والتربوي في روسيا، والذي يجب أن يشارك في المستقبل بشكل مباشر في تزوير تاريخ بلاده. وقد قبل هؤلاء حقا لعب هذا الدور. بحلول ذلك الوقت، نجد أن الكتب المدرسية عن تاريخ البلاد التي تم إعدادها بالفعل بما يسمى بالنهج التعددي-الليبرالي، قد قامت على فرضيات مغايرة لكل ما هو متراكم على مدى عقود . ونتيجة لذلك، بدأ ينظر إلى تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بأكمله على أنه ليس أكثر من تاريخ نظام شمولي، والانتقال منه إلى الديمقراطية هو أعظم إنجاز للمجتمع الروسي الحديث. على الرغم أيضًا  من الزيادة غير المسبوقة في الجريمة والخروج على القانون، وإفقار الغالبية العظمى من سكان البلاد، وتصاعد الصراع العرقي والطائفي، وظهور التطرف، وانخفاض قيمة القيم الروحية والأخلاقية وظهور بدائل أخرى للفترة الانتقالية، لكن هذا لم يشغل بال هؤلاء الممنوحين ومن ورائهم . في الوقت نفسه، تم التكتم على جميع القضايا الإيجابية التي حدثت خلال الفترة السوفياتية من تاريخ روسيا، بل جرى تشويهها عمدا.**

**وبرأي هؤلاء، فإن النصر في الحرب الوطنية العظمى نفسها لم يتحقق إلا بجهود “الأوغاد” و”الكتائب الجزائية-العقابية” التي كانت تقتل الجنود المتخاذلين من الخلف. على الأقل هذه هي الفكرة التي روجت لها الأفلام التي تحمل الاسم نفسه. وكانت هناك أفلام أخرى دنست ذكرى قدامى المحاربين في الحرب الوطنية العظمى. وهنا، على وجه الخصوص، يمكننا أن نشير إلى فيلم «أربعة أيام في أيار»، والذي يحكي كيف أراد «الوحوش» السوفيات الاستيلاء على دار للأيتام الألمانية والإساءة إلى تلاميذه المكفوفين، ولكن “الروس العقلاء”، إلى جانب “النازيين النبلاء”، أوقفوا هذه المحاولة وذهبوا إلى الغرب، واختاروا “الحرية”.**

**لسوء الحظ، هذه ليست محاولات معزولة، وبالتالي، ليست أعمال عشوائية تشوه تاريخ ونتائج الحرب الوطنية العظمى. على العكس من ذلك، هناك نظام متكامل لحرب المعلومات، أحد أهدافه هو إعادة تشكيل الوعي العام لعموم روسيا بنفس الطريقة التي تم بها بالفعل في أوكرانيا وجورجيا وعدد من دول ما بعد الاتحاد السوفيتي الأخرى.**

**ويتضمن هذا النظام تنفيذ مجموعة من الإجراءات في المجالات التالية:**

* **تفسير متحيز للأحداث التي سبقت بداية الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى، بما في ذلك، مثلا دخول دول البلطيق إلى الاتحاد السوفياتي، والحرب مع فنلندا 1939-1940. إلخ.؛**
* **تبرير تورط الاتحاد السوفييتي في اندلاع الحرب العالمية الثانية من خلال التوقيع على ما يسمى ميثاق ريبنتروب – مولوتوف وإلقاء المسؤولية عليه (وروسيا خلفاً قانونياً له) عن بدايتها؛**
* **تشويه أحداث الفترة الأولى من الحرب من خلال تبرير التفوق “الطبيعي” للجنود والضباط الألمان على جنود الجيش الأحمر.**
* **تقزيم أهمية المعارك الرئيسية في الحرب الوطنية العظمى، مثل معركة موسكو، ومعركة ستالينغراد، ومعركة كورسك، ومعركة برلين، وما إلى ذلك؛**
* **نسيان مآثر جنود الجيش الأحمر، وعمال الجبهة الداخلية، والحركة الحزبية، والمقاتلين السريين، والبطولة الجماعية للشعب السوفييتي خلال الحرب؛**
* **الرغبة في تشويه الطبيعة المتعددة الجنسيات لوطنية الشعب السوفياتي، ومساهمة جميع شعوب الاتحاد السوفياتي في تحقيق النصر على ألمانيا النازية.**
* **تحميل الاتحاد السوفياتي مسؤولية المواجهة بين النظامين وتشكيل ما يسمى “الستار الحديدي” الذي قسم أوروبا الغربية والشرقية. (يتبع).**

**\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_**

**\* – يعد مجمع محتشدات الاعتقال في “أوشفيتز” بمثابة أكبر المجمعات من نوعه، وقد تم تأسيسه في العهد النازي. يتضمن هذا المجمع ثلاث محتشدات رئيسية تم زج المعتقلين فيها وإرغامهم على العمل الإجباري. كما تم تخصيص أحد هذه المحتشدات لفترة طويلة كأحد مراكز القتل. كانت هذه المحتشدات تقع تقريبًا على بعد 37 ميلاً غرب مدينة “كراكاو”، بالقرب من الحدود الألمانية البولندية فيما قبل الحرب في سيليسيا العليا، وهي المنطقة التي استولت عليها ألمانيا النازية عام 1939 بعد اجتياح واحتلال بولندا. وقد قامت سلطات وحدة القوات الخاصة بإنشاء ثلاث محتشدات رئيسية بالقرب من مدينة “أوسفيانجيم” البولندية: “أوشفيتز الأول” في ماي – أيار 1940؛ و”أوشفيتز الثاني” (أيضًا يسمى “أوشفيتز-بيركيناو”) في أوائل عام 1942؛ و”أوشفيتز الثالث” (أيضًا يسمى “أوشفيتز-مونوفيتز”) في تشرين الأول/أكتوبر عام 1942.**

**\* – وقع بوروشنكو مرسوما في يوم الذكرى والمصالحة في 8 ماي – أيار، حيث كان البرلمان الأوكراني قد صادق في التاسع من أبريل – نيسان 2014 على مشروع قانون يحدد تاريخ 8 ماي – أيار من كل عام يوم الذاكرة لجميع ضحايا الحرب العالمية الثانية. بدأت أوكرانيا باستخدام زهر الخشخاش الأحمر كرمز لإحياء هذه الذكرى، وذكرى ضحايا النزاعات المسلحة العسكرية والمدنية في جميع المناسبات الرسمية.**

**\* – الفرقة التطوعية SS الرابعة عشرة “غاليسيا”، كانت تشكيلًا عسكريًا ألمانيًا في الحرب العالمية الثانية مؤلفًا في الغالب من متطوعين عسكريين ذوي خلفية عرقية أوكرانية من منطقة غاليسيا، ضمت لاحقا بعض السلوفاك والتشيك.  تشكلت في عام 1943، ودمرت إلى حد كبير في معركة برودي، ثم اصلحت وشاركت في القتال في سلوفاكيا ويوغوسلافيا والنمسا قبل إعادة تسميتها الفرقة الأولى للجيش الوطني الأوكراني حتى الاستسلام للحلفاء الغربيين بحلول 10 ماي – أيار 1945.**

# التزوير في التاريخ الروسي والحرب العالمية (3-4)

* [د. زياد منصور](https://assoual.com/archives/author/ziadmansour)

* [22/06/2024](https://assoual.com/archives/44028)

* [مقالات](https://assoual.com/archives/category/articles)

**مقولة أن الشتاء هو سبب انتصار الروس وأن إنزال النورماندي هو سبب هزيمة ألمانيا وانتصار الحلفاء**

**تخرصات تاريخية وبدع تضليلية ببعد أيديولوجي ماكر**

**د. زياد منصور**

**اتفاق ريبنتروب -مولوتوف والتزوير الخطير:**

**بدءًا من فترة البيريسترويكا التي قام بها غورباتشوف، والتي أدت إلى التفكك الداخلي للمجتمع السوفييتي، تم تطوير وترويج العديد من الأكاذيب التي نشأت في الغرب وفي الصحافة والأدب التاريخي المحلي، وفي وسائل الإعلام. والتي تعرِّض تاريخ الحرب الوطنية العظمى لتشوهات خطيرة لصالح الوضع السياسي واللحظوية السياسية. تم تعميم الأطروحة “الديمقراطية” القائلة بأن السلطة السوفياتية كانت في البداية غير شرعية وإجرامية، وإدخال مصطلحي “الشمولية” و”الستالينية” في التأريخ الروسي والوعي الجماهيري. نتيجة لذلك بدأ يُنظر إلى الفترة السوفيتية بأكملها على أنها تاريخ لا يستحق فيها النظام الشمولي الدفاع عنه ، وعن الدولة “الشمولية” التي كانت تحكم في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. لقد وجدت هذه التوجهات تعبيرًا لها في مجالات التزييف لتتحول إلى أيديولوجا في أعمال وتوجهات، أكاديميين أمثال ( أ.ياكوفليف ، إي تي غيدار ، أ. د. ساخاروف ، أ. سولجينتسين ، إن كيه سفانيدزه ، جي إتش بوبوف ، إلخ.) ، وكذلك في المذكرات الأدبية ، والصحافة، وتجسد ذلك في أعمال (ف. أ. كوروتيش ، ر. ميدفيديف ، إي إس رادزينسكي ، إلخ.) ، وفي العلوم التاريخية في مؤلفات  (د.فولكوجونوف ، يو. ن. أفاناسييف ، ب. سوكولوف ، إلخ.) ، والأدب التربوي عن التاريخ ، وفي مجال التصوير السينمائي ، إلخ.**

**عمليًّا بمساعدة هؤلاء تم تنفيذ التلقين الأيديولوجي للمجتمع العلمي والتربوي في روسيا، والذي شارك جزء منه بشكل مباشر في تزوير تاريخ بلدهم.**

**أخيرًا، في أيامنا هذه، وفي سياق العقوبات الغربية المستمرة ضد روسيا، أصبح تزوير تاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى موضوعًا لأنشطة خاصة ونشطة بشكل متزايد للسياسيين والمؤرخين والدعاية الأجانب، فأصبح هذا جزء لا يتجزأ من استراتيجية إضعاف روسيا. ووجدت دعمًا من جزء معين من المجتمع الروسي الموجه نحو القيم الغربية، وفي الأعمال المتعلقة بتاريخ الحرب المكتوبة من منظور التحريفية التاريخية. إن مؤيدي المفهوم الجديد لتاريخ الحرب العالمية الثانية هم في الغالب ممثلون للمعسكر الديمقراطي الليبرالي الذي تم تشكيله حول جمعيات مثل “الذاكرة”،مؤسسة أ.د. ساخاروفا، “نوفايا غازيتا”، “نيزافيسيمايا غازيتا”، إذاعة “صدى موسكو”.**

**أدى احتدام المواجهة الجيوسياسية بين روسيا والغرب إلى زيادة محاولات استخدام تفسير الأحداث التاريخية لتحقيق مصالح سياسية. بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، انطلقت عملية إنشاء نظام عالمي جديد مع الهيمنة الكاملة للحضارة الغربية، بقيادة الولايات المتحدة. وهذا ما يفسر المحاولات لخلق مفهوم آخر، ليس مختلفًا فحسب، بل معاكسًا للحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى، والتي تتم من خلال المعالجة الهائلة للرأي العام العالمي في وسائل الإعلام، وتزوير تاريخها ونتائجها.**

**كان الأكثر نشاطا في هذا الصدد ممثلو الهياكل الرسمية لدول أوروبا الشرقية والوسطى، التي كانت ذات يوم حليفة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. وبعد انهيارها، أصبح تزييف نتائج الحرب هو الأساس الذي بنت عليه بعض الدول الاشتراكية السابقة والجمهوريات السوفياتية هويتها الوطنية، وأبرزها دول البلطيق وبولندا وأوكرانيا. إن عمليات تزوير أحداث وتاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى خطيرة بشكل خاص، وتهدف إلى إعادة تشكيل وعي المجتمع الروسي. فكلما ابتعدت أحداث الحرب الوطنية العظمى عنا، زادت المحاولات المستمرة لكسر القانون التاريخي والأخلاقي في تصورها.**

**لعقود عديدة، تنوعت الاتجاهات الرئيسية لتزوير تاريخ الحرب الوطنية العظمى حول نفس المواضيع. أحدها هو مسألة طبيعة الحرب (سواء كانت الحرب عظمى أو هي حرب وطنية)، عندما يتم رفض تعريفها وتصويرها على أنها إحدى حلقات الحرب العالمية الثانية. يمكن العثور على هذا النهج، على سبيل المثال، في كتب تاريخ روسيا ككتاب البروفيسور زوييف . A. B. Zuev، وأعدته مجموعة من المؤلفين من روسيا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية التشيك وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا العظمى ولاتفيا. يمسح الكتاب مفهوم الحرب الوطنية العظمى ويشوه طابعها. ويطلق مؤلفوها على هذه الحرب اسم “النازية السوفياتية”، ويتبعون أطروحة حول هوية النظامين السوفياتي والنازي. ويتم التأكيد على أن كلمة “وطني” تعني أن كل من لم يحارب النظام الستاليني حارب ضد الوطن. وفقًا لهذا المنطق، صار الفلاسوفيون والبانديريون وغيرهم من خونة وطنهم مناضلين من أجل الحرية، ودافع الجيش السوفياتي عن النظام الشمولي، وليس عن الوطن. إن المحتوى الطبقي للحرب بين الدولة الاشتراكية الأولى في العالم، الاتحاد السوفياتي، والرايخ الثالث (والدول التابعة له)، والتي جسدت ليس الفاشية والنازية فحسب، بل وأيضاً العالم الرأسمالي الغريب عن النظام السوفياتي، يتم تجاهله عمداً.**

**ويحتل مكانة خاصة بين الأكاذيب تبرير تورط الاتحاد السوفياتي في اندلاع الحرب العالمية الثانية من خلال إبرام اتفاق مولوتوف-ريبنتروب وإسناد مسؤولية اندلاعها إليه (وإلى روسيا كخليفة قانونية له). إن نظرية المسؤولية المتساوية بين النظامين الشموليين تعكس، في جوهرها، ميلا نحو إعادة تأهيل النظام الفاشي.**

**وبذا اعتبرت معاهدة عدم الاعتداء، الموقعة بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي في 23 أغسطس- آب1939 (معاهدة مولوتوف-ريبنتروب)، نتيجة لتفاعل نظامين شموليين وتم إعلانها نقطة البداية في الحرب العالمية الثانية، وسوء تقدير قاتل من ـ ستالين. إن ما يسمى بالشمولية يخفي الرغبة ليس فقط في مساواة المسؤولية عن بدء الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتي. وبمساعدة هذا الاستبدال للمفاهيم، يحاولون إنكار ذنب القوى الغربية في ظهور النازية، وتشويه أهداف العدوان الفاشي. وفي محاولة لتحميل الاتحاد السوفياتي المسؤولية عن اندلاع الحرب، يحاولون بكل الطرق الممكنة إسكات السياسة غير المسؤولة التي تنتهجها الدول الغربية، والتي تتمثل في سياسة “استرضاء” ألمانيا، والتي أدت إلى اتفاق ميونيخ بشأن معاهدة ميونخ للأمن بين بريطانيا العظمى، فرنسا، إيطاليا في 1938، في ضم النمسا، وإبراز فشل محاولات الاتحاد السوفياتي لإنشاء نظام للأمن الجماعي في أوروبا ضد العدوان الفاشي.**

**أصبحت إدانة اتفاق مولوتوف-ريبنتروب اتجاها عاما للدول الغربية. وهذا يتجاهل حقيقة أن الاتحاد السوفياتي وقع على اتفاقية عدم الاعتداء مع هتلر في وقت متأخر عن الدول الأخرى. لقد أصبحت الأحدث في سلسلة من وثائق عدم الاعتداء التي تم اعتمادها عشية الحرب العالمية الثانية. وهكذا وقعت بولندا على ميثاق عدم الاعتداء (بيلسودسكي – هتلر) عام 1934، ووقعت بريطانيا العظمى على ميثاق عدم الاعتداء (تشامبرلين – هتلر) في سبتمبر-أيلول 1938، وفرنسا – في سبتمبر-أيلول 1938، وليتوانيا – في مارس-آذار.1939، الدنمارك – في ماي- أيار1939، إستونيا – في يونيو-حزيران1939، لاتفيا – في يوليو-تموز1939 (لم يتم رفع السرية عن هذه الوثائق بعد). رفضت الدوائر الحاكمة في إنجلترا وفرنسا وبولندا، بموافقة الولايات المتحدة، لعدة سنوات جميع المقترحات البناءة للحكومة السوفياتية لقمع العدوان المتزايد، وجلست “على كرسيين”، في محاولة لتحويل التطلعات العدوانية لألمانيا الفاشية عن أنفسهم وتوجيهها نحو الشرق. يتميز النهج الملحوظ بعدم وجود تحليل شامل ومعمق للوضع الذي تطور في سنوات ما قبل الحرب، والتناقضات العميقة التي كانت موجودة في تلك الفترة بين الاتحاد السوفياتي والغرب.لم يترك وضع السياسة الخارجية الذي تطور في ذلك الوقت أي خيار آخر سوى إبرام اتفاقية عدم الاعتداء في 23 أغسطس- آب 1939.**

**في التأريخ الحديث، تم تطوير أطروحة المسؤولية المتساوية وحتى السائدة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية عن الحرب بشكل شامل في أعمال الضابط المنشق السوفياتي ف.ب. ريزون ، الذي صاغ كتبه تحت الاسم المستعار ف. سوفوروف بالتعاون مع المخابرات البريطانية ، ونشرت في تداولات عالية للغاية وأعيد نشرها مرارا وتكرارا ، بما في ذلك في الوقت الحاضر. في أوائل عام 1990، غمروا حرفيا مساحة المعلومات الروسية. حاول ب. ريزون تقديم وجهة نظر بديلة لأحداث الحرب الوطنية العظمى، وجوهرها هو أن هجوم ألمانيا النازية على الاتحاد السوفياتي كان يرجع فقط إلى الرغبة في حماية ألمانيا من عدوان الاتحاد السوفياتي. لذلك، كانت حرب ألمانيا ضد الاتحاد السوفياتي وقائية، وبالتالي كانت مبررة.**

**إن الأسطورة حول إعداد ستالين لضربة استباقية ضد هتلر وأن الاتحاد السوفياتي، الذي تم فيه تطبيق “النظام الستاليني الإجرامي”، هو الذي بدأ الحرب العالمية الثانية، تم تناولها بنشاط من قبل الليبراليين المحليين المتغربنين أمثال ج.خ.بوبوف، ك. م. ألكساندروف ، ب. ف. سوكولوف ، إ. ب. تشوبايس وآخرين. في الواقع، كانت “فكرة” ” ف. ب. ريزون حول إعداد ستالين لهجوم على ألمانيا وأفعال هتلر كضربة وقائية في وقت مبكر تكرارا للعديد من أسلافه في شخص المؤلفين الألمان، وهتلر نفسه (خطاب هتلر إلى جنرالاته في 22 يونيو- حزيران 1941).**

**تم ذكر الطبيعة الوقائية للهجوم الألماني على الاتحاد السوفياتي أيضًا في بيان السفير الألماني ف. شولنبورغ لدى الاتحاد السوفياتي في يونيو- 22 حزيران 1941.**

**يتساءل المزورون أنفسهم عما إذا كانت هناك وحدة أخلاقية وسياسية للمجتمع السوفياتي خلال الحرب الوطنية العظمى. الجواب من وجهة نظرهم هو سلبي: لم تكن هناك وحدة بين الجبهة وما ورائها والخلف، بين الشعوب السوفياتية، وبين مختلف طبقات المجتمع السوفياتي والشيوعيين وغير الحزبيين، بين الشعب السوفياتي والقيادة السياسية. في البيريسترويكا والأدب اللاحق، انتشرت على نطاق واسع الأطروحة القائلة بأن النصر لم يتحقق بفضل النظام السوفياتي، بل على الرغم من أنفه، وقبل كل شيء على الرغم من ستالين. إلخ.). في هذا الصدد، يتعرض دور القائد الأعلى للقوات المسلحة ستالين لهجمات معقدة بشكل خاص وتزوير جسيم من قبل “الخبراء” المحليين. تم بناء صورة زعيم البلاد على أنه زعيم إجرامي جبان وغير كفء وطاغية في الشؤون العسكرية لم يفكر طوال الحرب إلا في الحفاظ على سلطته. في الوقت نفسه، فإن التقييمات العالية بشكل عام لأنشطته كقائد أعلى للقوات المسلحة في العديد من المذكرات المنشورة للقادة السوفيات والقادة العسكريين والدبلوماسيين ورؤساء المخابرات، فضلاً عن المراجعات التي تحظى باحترام كبير لقادة الثلاثة الكبار يتم تجاهلها، كما ويتم تجاهل رأي العديد من رجال الدولة في أوروبا والولايات المتحدة الذين تواصلوا معه شخصيًا تمامًا في ذلك الوقت، الذين ربطوا النصر بصورة خاصة بدور ستالين شخصيًا.**

**من بين مواضيع التزوير المفضلة للمزيفين لتاريخ الحرب الوطنية العظمى هي التقليل من دور الاتحاد السوفياتي في هزيمة ألمانيا النازية، وأهمية الجبهة السوفياتية الألمانية، وتضخيم دور الدول الأعضاء في التحالف المضاد لهتلر. يروج المؤرخون والسياسيون الغربيون للمذهب الرسمي الذي يؤكد على دور القوات الحليفة، خاصة الولايات المتحدة. يقولون إن قوة الجيش الأمريكي والمشاة البحرية، وفعالية غارات المدن الألمانية، ومهارات القادة العسكريين الأمريكيين المتميزة حددت مسار الحرب. يُقال إنه بدون مساعدة الحلفاء، لكانت تمت هزيمة الاتحاد السوفياتي. وهم يتجاهلون حقيقة أنه على الجبهة السوفياتية -الألمانية تم تدمير عدد هائل من الفصائل العدوة، وأن الجبهة السوفياتية الألمانية تفوقت بكثير من حيث المدة والشدة على كل الجبهات الأخرى للتحالف المضاد لهتلر. فمعركة ستالينغراد كانت المعركة الرئيسية التي فتحت الطريق لنقطة تحول جذرية ليس فقط في الحرب الوطنية ولكن أيضا في الحرب العالمية الثانية.**

**دون التقليل من دور حلفاء الاتحاد السوفياتي والمساعدة عبر الإعارة والتأجير -لاند لينز، نلاحظ أن الجبهة الثانية تم فتحها فقط عندما تم تحرير أراضي الاتحاد السوفياتي بالكامل من قبل الجيش الأحمر بحلول منتصف عام 1944. ولكن حتى بعد فتح الجبهة الثانية، واجهت الجيش السوفياتي الجزء الأساسي من القوات الألمانية – 239 فرقة، بينما كانت هناك فقط 81 فرقة تقاتل ضد الحلفاء.  تقليل دور الجبهة السوفياتية الألمانية وإعطاء أهمية أكبر للعمليات ضد القوات النازية التي نفذتها الحلفاء، وتقليل أهمية المعارك الرئيسية في الحرب الوطنية العظمى، كل هذا يهدف إلى تقليل دور الاتحاد السوفياتي في تحقيق هزيمة العدو. ولكن الحقيقة تبقى واقعة: كان الجنرال ج. ك. جوكوف هو الذي فرض استسلام ألمانيا النازية، وليس جنرالات الحلفاء. هذه الحقيقة تجعل محاولات إثبات شكوك في انتصار القوات السوفياتية غير مجدية.**

**تظهر المحاولات الساخرة (بشكل رئيسي من قبل الكتاب والمؤرخين الوطنيين) في التلاعب بموضوع مؤلم للغاية حول الخسائر في الجيش وبين السكان المدنيين خلال سنوات الحرب العالمية الثانية. هذه الخسائر كانت هائلة. هل كان بإمكانها أن تكون أقل؟ هذا سؤال منطقي. ولكن ماذا لو كانت أكبر؟ وماذا لو دخلت حيز التنفيذ خطة هتلر “أوست” في حال خسارة الاتحاد السوفياتي؟ نعم، بالفعل، تم تحقيق النصر بتكاليف خسائر هائلة. وليست فقط خسائر بشرية: فقد خسر الاتحاد السوفياتي حوالي 30% من ثرواته الوطنية في الحرب. وبالتالي، يستنتج المزيفون أنه إذا كانت تكلفة النصر كبيرة لهذا الحد، فإنها تعادل الهزيمة، وأن الاتحاد السوفياتي لم ينتصر بل خسر في الحرب.**

**كانت خسائر السوفيات العامة تفوق خسائر الألمان بمرات عديدة، ليس لأن السوفيات لم يكونوا يعرفون فن القتال وكيف يقاتلون، بل لأن هدف هتلر لم يكن فقط السيطرة على الأراضي، بل “تدمير الموارد البشرية لروسيا”. وكانت النتيجة أن الخسائر بين السكان المدنيين كانت تقريباً ضعف الخسائر العسكرية. فيما يتعلق بتعبير “تكلفة النصر”، يعتبر بعض الكتاب أن هذا التعبير يحمل في طياته مكونًا كبيرًا من التحريض، حيث يسمح بالنظر إلى هذه “التكلفة” كما لو كانت مبالغة، وبالتالي يثير شكوكاً في ضرورة هذا النصر. ويتم تعزيز فكرة بأن المنتصرين يعيشون أسوأ من الخاسرين في الوعي الشعبي، مما يوحي بأن نتائج النصر كانت وما زالت غير مهمة بالنسبة للشعب.**

**يثير الغضب الشديد محاولة تجويف بطولات الجنود السوفيات في الحرب العالمية الثانية. ففي العديد من الدول الأوروبية، تم تحويلهم من محررين إلى محتلين. لسنوات عديدة، حاول الغربيون وبعض الكتاب والمخرجين الوطنيين تجاهل البطولة الرائعة لجنود الجيش الأحمر، والمقاتلين الشجعان، والمقاتلين في المقاومة السرية، وبطولات الشعب السوفياتي في الحرب. وصل الأمر إلى الترويج، بما في ذلك عبر السينما، لافتراءات بأن النصر تم تحقيقه فقط بفضل جهود الكتائب العقابية ووحدات مكافحة الفارين من ارض المعركة (الوحدات المانعة). يتم وضع شك في مصداقية عدد من الحقائق المتعلقة بأفعال الأبطال المعروفين. يتم بشدة استهداف بعض أبطال الاتحاد السوفياتي مثل زويا كوسموديميانسكايا (تم تقدير خطابها البطولي قبل إعدامها على أنه كلام لشخص مصاب بالجنون)، وقائد “الحرس الشاب” أوليغ كوشيف (زعم أنه غادر مع الألمان عند انسحابهم إلى الغرب، على الرغم من أنه دفن بحضور سكان مدينة كراسنودونا ووالدته وجدته)، وألكسندر ماتروسوف (زعم أن بطولته لم تكن بسبب الشجاعة بل لأن أعصابه لم تتحمل، على الرغم من أن بطولته كررها أكثر من 400 شخص)، ونيقولاي جاستيلو (الذي تكررت بطولته أكثر من 320 مرة)، و28 من أبطال مانفيلوف وغيرهم. تظهر النتيجة بأنه لم يكن هناك بطولة جماعية، بل تم تضخيم أدوار هؤلاء الأبطال.**

**هذه وغيرها من الأساطير، عندما تجتمع معًا، “تشكل صورة مختلفة تمامًا عن الحرب الوطنية العظمى كحرب “غير عادلة”، “أهلية”، “تحت الاحتلال”، بعبارة أخرى، “حرب أخرى”. ويتم اعتماد الحجج فقط التي تتماشى مع الظروف السياسية الراهنة.**

**وما يميز السنوات الأخيرة هو أن عمليات تزييف التاريخ ونتائج الحرب الوطنية العظمى تتم على أرض الواقع، إذ يتزايد الاتجاه نحو تمجيد الخونة وأفراد الأس إس والمتعاونين. يتبين أن الخونة والمتعاونين أصبحوا مقاتلين من أجل روسيا المستقلة (ضد الفاشية وضد الشيوعية) كـ “القوة الثالثة”.**

**وهكذا تحول الجنرال أ.أ.فلاسوف إلى مقاتل من أجل تحرير الشعب الروسي من القوة السوفياتية. في أوكرانيا، مُنحت “شخصية” كستيبان بانديرا لـ S. Bandera لقب بطل أوكرانيا. يتم عرض الجنود الألمان في صورة البريء، والذي من المفترض أن يشعر الجميع بالشفقة تجاههم، بينما يتم تناسي أن هؤلاء كانوا جزءًا من غزو، وجاؤوا إلى روسيا لغرض واحد – القتل.**

**في بعض الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفياتي، استُبعد الاحتفال بالتاسع من أيار من قائمة الأعياد الوطنية، وفي هذا اليوم يُقام مسيرات لأولئك الذين قاتلوا إلى جانب النازيين، ومسيرات ألوية الإس إس. يصبح المتعاونون السابقون أبطالًا وطنيين جددًا. يجري تقويض واقتلاع النصب التذكارية للجنود السوفيات، يترافق ذلك مع أعمال تخريبية. في بعض البلدان، تُحظر قانونيًا الرموز الخاصة بالجيش الأحمر، ويُحظر على المحاربين القدامى من المشاركين في الحرب الوطنية العظمى ارتداء أوسمة الشرف والشارات الأخرى.**

**أصبح مصطلح “الستالينية” ضعيفا وعرضة بشكل كافٍ للتهكم، حيث يُعتبر أساسيًا في تقييم السياسة الخارجية والداخلية للاتحاد السوفياتي خلال الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى، مما يمنح المزيفين أساسًا لمساواة الستالينية والنازية، والاتحاد السوفياتي وألمانيا النازية، وتوجيه اتهامات غير مبررة للسلطة السوفياتية. مفاهيم “الستالينية” و”التوتاليتارية”، التي يرتبط فيها بشكل أساسي بالسياسة القمعية، تمحي إلى حد كبير الإنجازات الحقيقية والنجاحات التي حققها الاتحاد السوفياتي، وتكمن في أساس تبرير الخونة والمارقين. يعتبر تمجيد أتباع الفاشية أساسًا لإعادة النظر في تاريخ الحرب العالمية الثانية بشكل عام.**

**إن فكرة أن الاتحاد السوفيتي كان يحارب الرايخ الثالث كدولة مجرمة مثله مثل غيره، تساهم في تغيير معنى طبيعة الحرب وقد توفر وبالفعل توفر أسبابا لمراجعة نتائج الحرب العالمية الثانية. لا شك في أن مثل هذه المطالب والاتهامات ضد روسيا ستزداد فقط إذا لم تتم مقاومة محاولات إعادة كتابة التاريخ وفقا لاحتياجات التكتيك السياسي الغربي.**

**إن الهدف من التزوير المستهدف في هذه المجالات وغيرها هو وعي الشباب، وخاصة الروس. ومن المناسب في هذا الصدد الاستشهاد بالمقولة   الشهير لبيسمارك أوتو لـ O. Bismarck: “يتم ربح الحروب وخسارتها خلف المقاعد المدرسية”. ويضيف الصينيون بدورهم: «إذا أردت هزيمة العدو، علم أولاده».**

**ومع ذلك، فإن حقيقة إعادة صياغة الوعي العام هذه خطيرة للغاية لأنها تخلق في الواقع الظروف الملائمة لإعداد وتنفيذ سيناريو “الثورة الملونة” على صورة ومثال تلك التي حدثت بالفعل في أوكرانيا في عامي 2004 و2014، في جورجيا – في عام 2003، في مولدوفا – في عام 2009 وما إلى ذلك.**

**من السمات المميزة لـ “الثورة الملونة” الغياب المعلن لاستخدام العنف: مثل هذه الثورة تبدأ دائمًا باحتجاجات سلمية في العاصمة، لكنها قد تنتهي باشتباكات دامية وانقلاب مسلح في مدن أخرى من البلاد إذا لم يتم قمعها في الوقت المناسب في العاصمة. علامة أخرى مخفية ولكنها نشطة، وهي الدعم المالي من مختلف المؤسسات وسفارات الدول المهتمة. ومن الأسهل تقديم هذا الدعم في المدن. الهدف المعلن من “الثورة الملونة” هو استبدال الأنظمة السياسية “الاستبدادية” و”الأحادية” بأنظمة “ديمقراطية” و”ليبرالية”، فضلا عن “ممارسة حق الشعب في تقرير المصير”. كل هذا يجب أن يحدث أثناء اقتحام المباني الحكومية مع استبدال بعض القادة بآخرين لاحقًا.**

**ولمنع تطور الوضع وفق سيناريوهات «الثورة الملونة»، لا بد من اتخاذ مجموعة من الإجراءات، من أهمها إجراءات تحييد تزوير التاريخ الروسي، بما في ذلك. فيما يتعلق بأحداث تاريخية مثل الحرب الوطنية العظمى.**

**بادئ ذي بدء، من الضروري فهم خطر التزوير نفسه، وعدم القدرة على التنبؤ بعواقبه على تشكيل النظرة العالمية لجميع سكان البلاد، وفي المقام الأول الشباب.**

**يبقى تاريخ الحرب الوطنية العظمى “عملة مقابلة” في لعبة القوى السياسية المختلفة. تسعى محاولات التحكم في تفسير أحداث الحرب الوطنية العظمى ونتائجها لتلبية احتياجات الأوساط السياسية الغربية، وتشويه الحقيقة التاريخية لصالح التكتيكات السياسية، إلى الإساءة إلى سمعة روسيا الحديثة، وتنظيم جبهة موحدة ضدها، والمساهمة في عزلها. لا يمكن أن نقلل من خطورة الحرب الإعلامية غير المقيدة حول النصر الكبير، الذي يهدف إلى إعادة صياغة الوعي العام الروسي، بشكل رئيسي بين الشباب.**

**ستكون هذه هي سياسة الوحدة التي كتب عنها أ. إيليين: «إن السياسة في جوهرها تعني الوحدة، وليس الخلاف، والعام وليس الخاص (سواء كان شخصيًا أو طبقيًا)، وقوة الشعب، وليس انهكاه. وهذه الوحدة هي أساس الدولة: وحدة المواطنين فيما بينهم، ووحدة المواطنين مع السلطات إن حل هذه القضية، في رأينا، يمكن أن يصبح النقطة المرجعية التي يمكن فيها تحقيق هذه الوحدة حقا، لأنها تعني الجميع. (يتبع)**

**المراجع:**

**– أكوبيانتس أ. الضم النمساوي وعواقبه / / جيوسيبير. 2019. المجلد. 5. ص 3-8.**

**– ألكسندروف ديركاشينكو ب. ثمن الحرية / / الفكر الحر. 2010. № 5 (1612)، ص.120.**

**– تيموفيفا أ. اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في الحرب العالمية الثانية: الأساطير والتزوير والتقديرات الجديدة // تاريخ الدولة والقانون.. ع18. 2012 ص 12-13.**

**– دوجديكوف أ. ، و جوريوشكينا ت. الموضوعات الإشكالية للحرب الوطنية العظمى في سياق التلاعب السياسي // المعرفة الاجتماعية والإنسانية. ع (3)، 2013. ص.ص 304-315.**

**– زوبوف أ. تاريخ روسيا. القرن العشرين. 1939-2007: في 2 مجلدات. م: أستريل: أست، 2010. المجلد. 2. 475 ص.**

**– سوفوروف ضد كاسحة الجليد. الذي بدأ الحرب العالمية الثانية? موسكو: أ. س. ت AST، 2003. 378 ص.**

**– عبد الرزاكوفا س. م.، حسنوف ن. انتصار الشعب السوفيتي في الحرب الوطنية العظمى (1941-1945) ومحاولات تزويرها // المعرفة الاجتماعية والإنسانية. 2015. ع6. ص. 5-16.**

**– فورونوف ف. ن، و زاخاروفا ت. حول مسألة تزوير تاريخ الحرب الوطنية العظمى / / عالم التعليم، والتعليم في العالم. رقم 2 (58). 2015.  ص 3-9.**

**– كازاكوف أ. تزوير تاريخ ونتائج الحرب الوطنية العظمى كإتجاه للتأثير المدمر على وعي الشباب الروسي الحديث // السلطة. 2015. رقم 5. ص 8-14.**

**– كوسيجين أ. في تشكيل واحد من المدافعين عن الوطن. م: بوليتيسدات، 1980.ص.18 وما بعدها**

**– كوشكين إيه بي، ميلكوف إس إيه. العمران السياسي: المشاكل والآفاق. – نشرة جامعة بليخانوف الروسية للاقتصاد. رقم 1.2015، ص 144-152.**

**– هالدر ف. احتلال أوروبا. اليوميات العسكرية لرئيس الأركان العامة. 1939-1941. موسكو: تسينتربوليغراف، 2007.ص.57.**

**داشيتشيف، في. إي، سوء تقدير جيوسياسي قاتل لستالين / / المعرفة الاجتماعية والإنسانية. 2014. ع3. ص.189.**

**دوجديكوف أ، جوريوشكينا ت. الموضوعات الإشكالية للحرب الوطنية العظمى في سياق التلاعب السياسي // المعرفة الاجتماعية والإنسانية. 2013. رقم 3. ص 308.**

**رجابوف، أ. أساطير المزيفين حول الدور الحاسم لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في هزيمة ألمانيا النازية // المعرفة الاجتماعية والإنسانية. ع1.2017، ص.193.**

**-كالسنيكوف، ف. كيف يحاولون حرماننا من تاريخنا / / الاتحاد الروسي اليوم. 2010. رقم 16-17. ص 12-13**

**التزوير في التاريخ الروسي والحرب العالمية (4-4)**

**د. زياد منصور 25/06/2024 تقارير وتحقيقات**

**التزوير في التاريخ الروسي والحرب العالمية (4-4)**

**مقولة أن الشتاء هو سبب انتصار الروس وأن إنزال النورماندي هو سبب هزيمة ألمانيا وانتصار الحلفاء**

**تخرصات تاريخية وبدع تضليلية ببعد أيديولوجي ماكر**

**د. زياد منصور**

**تزوير آخر: الحرب الوطنية ضد نابليون 1812!**

**يعتبر السادس من كانون الثاني تاريخ لا ينسى في التاريخ العسكري الروسي. في مثل هذا اليوم من عام 1813، أنهى الجيش الروسي رسميًا، بعد حملة طويلة وصعبة ودموية عام 1812، الحرب الوطنية ضد نابليون. وفي 7 ديسمبر- كانون الثاني1813، تمت تلاوة مرسوم الإمبراطور ألكساندر الأول على جميع سكان البلاد “حول طرد العدو من حدود الإمبراطورية ونهاية الحرب الوطنية”. أمر الإمبراطور بالاحتفال بيوم النصر العظيم سنويًا في يوم ميلاد المسيح.**

**أصبحت الحرب الوطنية عام 1812 اختبارًا صعبًا لروسيا. كان على القوات الروسية أن تواجه “الجيش الكبير” الأكثر عددًا وذو الخبرة التابع للإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت. بالانسحاب من حدود الإمبراطورية، خاض الجيش الروسي معارك في الخلفية وخاض معركة كبرى بالقرب من سمولينسك. تم كسر قوات جيش نابليون في معركة بورودينو الكبرى. كانت المعركة الثانية الأكثر أهمية في عام 1812 هي معركة مالوياروسلافيتس. خلال صيف وخريف عام 1812، تكبد الفرنسيون خسائر لا يمكن تعويضها، وبحلول الشتاء اضطروا إلى مغادرة موسكو والانسحاب من روسيا. من بين أكثر من 660 ألف جندي نابليوني، لم يتمكن سوى بضع عشرات الآلاف من مغادرة روسيا. كللت القوات الروسية نفسها بمجد المنتصرين والمقاتلين المثابرين والعنيدين. وكرس الجيش الروسي هذا الوضع لاحقا، خلال الحملة الخارجية، التي انتهت بالهزيمة الكاملة لفرنسا والاستيلاء على باريس من قبل القوات الروسية.**

**ماذا يتعمد مزورو حرب 1812 أن يتناسوا؟**

**تقوم الجمعية التاريخية العسكرية الروسية (RVIO) بالكثير من العمل في مجال الحفاظ على الذاكرة التاريخية لمآثر الجيش الروسي خلال الحروب النابليونية. تُعقد بانتظام مؤتمرات ومحاضرات وندوات وعمليات إعادة بناء تاريخية لمعارك عام 1812. وتحت رعاية الجمعية التاريخية العسكرية الروسية، تقام الاحتفالات والفعاليات التذكارية في محمية متحف حقل بورودينو، بما في ذلك قراءة بيان الإمبراطور ألكسندر الأول.**

**لماذا هذا التكريم؟**

**أولا يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن روسيا كانت دولة إقطاعية، لذلك كانت مواردها محدودة. وتطلبت الحرب تعبئة المجتمع بأكمله، وجميع الموارد التي كانت تمتلكها الإمبراطورية: العسكرية والبشرية والاقتصادية والأيديولوجية. خدم الفلاحون في الجيش كمجندين، وتم تجنيد الميليشيا من بينهم ، فيما تبرع التجار بثرواتهم من أجل الحرب. أنشأ النبلاء الذين لم يكونوا في الخدمة وحداتهم العسكرية الخاصة: على سبيل المثال، تم تشكيل فوج هوسار في موسكو بأموال الابن المفضل للإمبراطورة كاثرين الثانية، ميخائيل دميتريف-مامونوف، وانضم إليها الشاعر س.م. غلينكا والشاب أ.س. جريبويدوف. وفيما بعد، تحولت هذه الفرقة إلى فرقة هسار النظامية وأُعيد تسميتها إلى فرقة هسار إيركوتسكي. ومن الأمثلة الأخرى، كانت هناك كتيبة أنشئت وتم تمويلها من قبل أميرة تفير الكبرى كاثرينا بافلوفنا، المعروفة بالفرقة الموسيقية للإمبراطور. وتمكنت هذه الكتيبة من الوصول إلى باريس. وبالتالي، كانت الحرب، هي صدام بين إمبراطوريتين، حيث تطلبت من روسيا تعبئة جميع الموارد. وكانت إمكانيات إمبراطورية نابليون، التي كانت تسيطر على معظم أوروبا، أعلى بكثير، وكانت مدى الأحداث كبيرًا بما يكفي، حتى أن جيش نابليون خلال غزوه لروسيا كان يتألف من 660 ألف جندي، ولكن تمكن فقط 10-15 ألف جندي نابليوني من الهروب. وظل “الجيش الفرنسي العظيم” بأكمله مشتتا على الطريق من موسكو إلى فيلنو. وبعد معركة بيريزين في 26-28 نوفمبر- تشرين الثاني 1812 (حسب التقويم الجديد)، تم سحقه وتدميره تمامًا كهيكل عسكري قتالي. وفر الجنود حرفيًا من روسيا لإنقاذ حياتهم. ترك نابليون الجيش وهرب إلى باريس. وأثناء مطاردة العدو، خرجت القوات الروسية إلى حدود الإمبراطورية، وفي 6 يناير-كانون الثاني 1813 (حسب التقويم الجديد، أي 25 ديسمبر-كانون الأول 1812 حسب التقويم القديم)، وقع الإمبراطور ألكسندر الأول مانيفست (مرسوم)، الأول بشأن “طرد العدو من حدود الإمبراطورية”، والثاني بشأن إقامة نصب تذكاري لأبطال الحرب ومخصص لإرادة العناية الإلهية، التي ساعدت روسيا على الصمود في وجه هذا التحدي الصعب، والانتصار في هذه الحرب ضد المسيح الدجال. بالمناسبة، في وقت لاحق تم بناء كاتدرائية المسيح المخلص. وفي 7 كانون تم الإعلان عن هذه المراسيم الإمبراطورية ونشرها وطباعتها وتوزيعها في المدن وقراءتها… رسميًّا فإن هذا المرسوم، أعلن عن انتهاء حرب عام 1812 رسميا على أراضي روسيا.**

**ماذا تمثل هذه المنافيستات (المراسيم) كوثائق؟**

**الأمر الامبراطوري هو النداء الرسمي للإمبراطور إلى رعاياه، حيث أعلن فيه عن نهاية الحرب على أراضي روسيا، ويشير إلى أن جميع الطبقات توحدت في هذه اللحظة العصيبة لحماية الوطن والعرش. ومن الجدير بالذكر أن هذا الصيغة التي استخدمها الإمبراطور ألكسندر الأول لاحقًا تطورت إلى الصيغة التاريخية الشهيرة المؤلفة من ثلاث كلمات مفصلية، وهي “الأرثوذكسية، الاستبدادية، الشعبية”. وبالطبع، كانت الوثيقة تذكر أن كل طبقة ساهمت بجهدها ويجب أن تكافأ عليه. وكما تم الإشارة إلى الجوائز والامتيازات التي منحت لكل من الطبقات. النبلاء، التجار، البورجوازيون… وبعد ذلك، تم التأكيد على الدور الحاسم للجماهير الشعبية والمشيئة الإلهية التي ساهمت في تحقيق النصر.**

**“المزورون يحاولون جعل التاريخ يتحدث بلغة الحداثة”**

**الآن يحاول العديد من الباحثين أو المؤرخين الزائفين تزوير أحداث الحرب الوطنية عام 1812. من خلال التقليل من أهمية الإنجاز الذي حققه الشعب والجيش الروسي آنذاك، فيعاد النظر في مسارها ونتائجها، وفي النهاية اسقاط تاريخيتها كحرب وطنية عظمى.**

**فعليَّا أطلق المعاصرون والمشاركون في البداية على الحرب اسم “حملة 1812″، كما جرت العادة آنذاك. وبالفعل، فقد أُعطي مفهوم الحرب الوطنية لهذه الحرب بعد ذلك، في عهد الإمبراطور نيقولاي الأول، لكن هذا لا يجعل حجمها أصغر، ولا يلغي طابعها الوطني في أي مكان.**

**نعم، وقع القتال في جزء صغير نسبيًا من طرق سمولينسك باتجاه موسكو: بالقرب من مالوياروسلافيتس والعديد من الأماكن الأخرى المجاورة لها. لكن ومع الأخذ في الاعتبار – وهذا بالضبط ما أشار إليه الإمبراطور ألكسندر الأول في بيانه – أن كل طبقة من طبقات المجتمع الروسي قدمت مساهمتها على مذبح النصر، وأن الحرب وحدت المجتمع الطبقي، ويمكننا القول إنها كانت حربًا وطنية شاملة بطبيعتها.**

**إلى حد ما، تم إنشاء بعض الأساطير، والتي بدأت الآن في التلاشي عند العمل مع المستندات والوثائق. في سعيهم لتصحيح بعض عدم الدقة، غالبًا ما يخلق هؤلاء الأشخاص أساطير وبنى أكثر تعقيدًا وأحيانًا تمامًا غير واقعية، لا تتناسب مع الواقع. فالعمل مع أي حدث، سواء كان عمره 75 عامًا أو 200 عام، يتطلب القدرة على البحث وتحليل الحقائق. الأهم من ذلك كله هو النظر في الأحداث في تلك الفترة من خلال عيون مشاركيها. في عام 1812، كان هناك نظام قيم مختلف تمامًا في المجتمع الروسي عما هو عليه اليوم. المشكلة تكمن في محاولة إجبار الماضي على التكيف مع معاييرنا الحديثة وإجباره على التحدث بلغة زماننا. وهذا بدوره يؤدي إلى التشويه وعدم فهم الحقائق والعمليات التي حدثت في المجتمع في ذلك الوقت.**

**الآن أصبح من المألوف في بعض الأحيان تشويه صورة المشير م. غولينيشيف-كوتوزوف، واتهامه بعدم قدرته على قيادة القوات، وينسب إليه مختلف “الخطايا” على الصعيد الشخصي… يتم عرض مقتطفات من رسائل وذكريات شخصيات مثل يرمولوف أو باغراتيون أو ضباط آخرين كأمثلة. من ناحية أولى، لعل كل شيء مقتبس هو صحيح. لكن قلة من الناس يفهمون أن هناك مواجهة كبيرة بين جيلين هي وراء ذلك.**

**على سبيل المثال، كان كوتوزوف يصف نفسه دائمًا بأنه “نبيل بسيط خادم”. بالنسبة له، كانت خدمة العرش والدولة أساس حياته بأسرها. لم ير نفسه بشكل مختلف أبدًا، وكقائد عسكري ودبلوماسي ومسؤول إداري، كان ينفذ أوامر الحاكم حيثما يتم إرساله. إن جيل الشباب، الذي ولد وتعلم في عصر أكثر استنارة، بدأ يتحدث بالفعل عن الحقوق والحريات، وقيمة الحياة الإنسانية، وغيرها من المفاهيم التي كانت تقدمية في ذلك الوقت. وبطبيعة الحال فلقد أدانوا بعض قرارات القائد كوتوزوف ولم يفهموها. فكانت هناك قصص عن الرجل كمثل قصة وعاء القهوة الذي قام بتقديمه كوتوزوف إلى الشاب البالغ من العمر 25 عامًا، وهو آخر مفضل (عشيق) لدى كاثرين الثانية- بلاتون زوبوف- والذي أصبح الآن طاعنًا في السن (أي كوتوزوف) فوصف عمله هذا بالمخزي. لكن أولئك الذين روجوا لذلك بمن فيهم طلاب الفيلق (الكاديت)، الذي كان كوتوزوف يرأسه آنذاك، لم يعرفوا أنه بهذه الطريقة كان يحاول الحصول على المال للحصول على زيهم الرسمي العسكري وترتيبات المعيشة والاحتياجات الأخرى للفيلق. بمعنى إنه صراع أجيال بين الآباء والأبناء، والمنظومات القيمية المختلفة… وكما نعلم، فالأمر الذي لا يفهمه الانسان، يقصيه ويرفضه دائماً بل وينتقده…**

**إذا تطرقنا إلى كوتوزوف، أيضًا فهناك رأي مفاده أنه كان لا يريد الحملة نحو أوروبا؛ تتكرر بشدة عبارته حول أن إنجلترا مستعدة للحرب حتى آخر جندي روسي.**

**هذا الرأي المزور أيضًا نشأ من تقارير ورسائل ممثل بريطانيا في مقر كوتوزوف، روبرت ويلسون، الذي كان ينظر إلى كوتوزوف نظرة نقدية. كان يطلق شعارات وهمية مثل: “كوتوزوف يبني جسرًا ذهبيًا لنابليون، ليسمح له بالفرار”. تم نشر هذه الرسائل لاحقًا، وحصل الشعب على هذه المعلومات. ولكن هنا يجب علينا أن نفهم الظروف التي نشأ فيها هذا المصدر. ويلسون كان يعبر فقط عن رأيه الشخصي. لم يكن يجلس مع كوتوزوف أثناء وضع الخطط، بل كان يتنقل باستمرار بين القيادة وسانت بطرسبرغ. وكان هدفه بكل جهده الحفاظ على روسيا في حالة حرب. ومن هنا جاءت هذه الانتقادات – لأن ويلسون رأى أن من المهم تحقيق هدفه الشخصي في تغيير القائد كوتوزوف. إذًا، فإن كرهه الشخصي أصبح أساس هذا الأسطورة. بالنظر إلى أمره الشهير للجيش بتهنئة الجنود والضباط بانتهاء الحملة، يستمر كوتوزوف في نفس الفكرة: “يجب أن تذهبوا إلى الأمام وتعاقبوا الطاغية حقوله وأراضيه”. فعليَّا لم يتوقف الجيش عند الحدود، بل ذهب أبعد من ذلك. في تقاريره إلى الإمبراطور، كان كوتوزوف يتبع بدقة مهمة الحملة الخارجية. لقد سادت مشاعر بأنه لا داعي للمزيد من الحرب، فيما يُعرف بـ “مجموعة المسنين”، لكن رئيسهم كان الأدميرال شيشوف، وليس كوتوزوف.**

**ما هو دور الجيش الروسي بالفعل في الحملة الخارجية. وإلى أي مدى كان حاسما؟**

**في المرحلة الأولى من الحملة الخارجية، قبل هدنة الصيف عام 1813، لعبت روسيا دوراً قيادياً في التحالف السادس الجديد المناهض لنابليون. لم يكن لدى بروسيا، حليفة روسيا أي جيش تقريبًا منذ عام 1806، وكانت تعتمد على أفواج Landwehr (الميليشيا). كان الجيش البروسي غير فعال، وكان الجيش الروسي متفوقا عليه كما ونوعا.**

**تتميز المرحلة الثانية من الحملة الخارجية بدخول الإمبراطورية النمساوية في الحرب. لكن بحلول هذه اللحظة، تمتعت روسيا بالفعل بسلطة القائد الدبلوماسي والعسكري في التحالف، ولعبت دور العمود الفقري. على الرغم من أن المشير النمساوي شوارزنبرج أصبح القائد الرسمي، إلا أن الجنرالات الروس كانوا في الواقع مسؤولين في ساحة المعركة: باركلي دي تولي، فيتجنشتاين، يرمولوف، أوستن ساكن، راييفسكي. لقد حدثت الانتصارات الأكثر أهمية على وجه التحديد بفضل القوات الروسية والقادة الروس. على سبيل المثال، في “معركة الأمم” بالقرب من لايبزيغ، كان الجيش الروسي هو الذي أعاق الضربة الرئيسية للفرنسيين.**

**الأسطورة الثانية: هل هزم الجنرال موروز (الصقيع) الجيش الكبير في عام 1812؟**

**الجنرال موروز (الصقيع) هو تصور شائع للمناخ كعامل حاسم أعاق الجيوش الأوروبية الغربية عن تحقيق النصر في الأراضي الروسية بسبب البرد القارس في الشتاء والطرق الموحلة في فصلي الربيع والخريف.**

**وُلد القائد العسكري الشهير “موروز” خلال الحرب الوطنية ضد نابليون وأصبح تجسيدًا لـ “النصر السهل” على بونابرت. هكذا، على الأقل، كان يعتقد البريطانيون. لقد أحب البريطانيون كثيرًا الرسوم الكاريكاتورية حول هذا الموضوع. في هذه الرسوم، لم يكن الجنود الروس يقاتلون العدو، بل كانوا ينتظرون ببساطة كيف سيهزم الجنرال موروز الشجاع والمقدام العدو.**

**لم يستطع الأوروبيون تصديق أن نابليون قد هُزم! حتى الفرنسيون أنفسهم لم يتمكنوا من تصديق ذلك. كتب بعض المذكرات عن الجنرال موروز الشرير والمخيف. على سبيل المثال، قال أدريان جان باتيست فرانسوا: “مع كل يوم يزداد البرد، وقريبًا يجب أن يتحد الصقيع مع الجوع لتدمير جيشنا، هذا الجيش الذي كان رائعًا عند عبوره نهر نيمان! […] الجميع يرتدون فراءً باهظة الثمن بشكل أو بآخر، مما يخلق تنوعًا كبيرًا في الأزياء، حيث يبدو أحدهم أكثر غرابة من الآخر. كيف يمكن أن نرى فيهم مجددا أولئك الأشخاص الذين كانوا يرهبون أوروبا قبل ستة أشهر؟ أما بالنسبة لي، فقد تسلحت… بعكاز، وأرتدي معطفًا ورديًا من فراء السنجاب، مع قلنسوة على رأسي… […] أضف إلى ذلك لحية طويلة، ينتهي كل شعرة منها بقطعة صغيرة من الجليد.” أما نابليون نفسه، وفقًا لكولينكور، فقد قال في طريقه إلى باريس إن العامل المناخي كان السبب الرئيسي لهزيمة حملته.**

**تم فضح الأسطورة القائلة بأن البرد والصقيع هو الذي أجبر الإمبراطور الفرنسي على مغادرة روسيا في منتصف القرن التاسع عشر. كتب أحد المشاركين النشطين في الحرب الوطنية عام 1812، دينيس دافيدوف، مقالًا عسكريًا تاريخيًا بعنوان “هل دمر الصقيع الجيش الفرنسي عام 1812؟”. في هذه المقالة، أثبت أن الهزيمة الحاسمة للفرنسيين حدثت في ظل طقس معتدل. الصقيع ضرب بالفعل، ولكن بعد أن كانت الجيوش قد تلاشت فعليًا، وكان انتصار الجيش الروسي واضحًا. كتب دافيدوف:”في ذلك الوقت، كان الجيش الفرنسي عند مغادرته موسكو يتألف، وفقًا لقائمة القيادة العامة الفرنسية التي استولينا عليها أثناء المطاردة، من مائة وعشرة آلاف جندي جديد، ووفقًا لجميع مؤرخي الحملة، لم يصل سوى خمسة وأربعين ألفًا منهم إلى ضفاف نهر بيريزينا. كيف يمكن التفكير أن جيشًا من مائة وعشرة آلاف جندي يمكن أن يفقد خمسة وستين ألف جندي بسبب صقيع استمر ثلاثة أو خمسة أيام فقط، بينما الصقيع الأقوى بكثير في عام 1795 في هولندا، وفي عام 1807 خلال حملة إيلا، التي استمرت حوالي شهرين متتاليين، وفي عام 1808 في إسبانيا بين جبال القشتالية، طوال الحملة الشتوية، لم يكن له تأثير يُذكر على الجيش الفرنسي، ولم يخترق وسطه، ولم يدمر وحدته أو تنظيمه؟ كل هذا يقودنا إلى الاقتناع بأن البرد لم يكن السبب في تدمير هذا الجيش الضخم، بل كانت هناك ظروف أخرى هي السبب في انهياره”.**

**يستشهد دافيدوف في مقالته بآراء الجنرالات الفرنسيين، على سبيل المثال، كلمات مساعد نابليون جورجو، والتي تثبت أنه لم يكن هناك صقيع شديد في تشرين الثاني 1812. على سبيل المثال، نقل دافيدوف كلمات الماركيز دي شامبراي، الذي تم أسره في بيريزينا: ” “لم يكن البرد وحده هو الذي أضعف ودمر الجيش الفرنسي […]، الصقيع الجاف والمعتدل الذي رافق الجيش من موسكو حتى أول تساقط للثلوج كان أكثر فائدة من كونه قاتلاً”.**

**في مذكرات الجنرال أرماند دي كولينكور يمكن العثور على الكلمات التالية: “كرر الإمبراطور أكثر من مرة أن “الخريف في روسيا هو نفسه كما هو الحال في فونتينبلو”؛ واستناداً إلى طقس اليوم، حكم على ما سيكون عليه الطقس بعد 10 إلى 15 يوماً، وأخبر أمير نوشاتيل، أنه “… يمكن إخافة الأطفال فقط بالحكايات عن الشتاء الروسي…”.**

**خرج نابليون من موسكو في بداية تشرين الأول. ضرب الصقيع بالفعل عندما بدأ الجيش الكبير التراجع عبر طريق سمولينسك. في نهاية تشرين الثاني، تغير البرد فجأة إلى دفء، وكان الجيش يعبر نهر بيريزينا في وقت دافئ نسبيًا، مما صعّب عملية العبور. ثم ضرب الصقيع بدرجات حرارة تصل إلى -20، وبدأ الجيش ذو الملابس الخفيفة في التجمد.**

**ولكن هذا كان في وقت التراجع. مما يعني أن “الجنرال موروز” لم يكن له دور حاسم في الهزيمة والهلاك الذي لحق بنابليون، رغم أن العامل المناخي لا يمكن إنكاره تمامًا. ولكن المعلومات حوله كانت مبالغًا فيها بشكل كبير، ثم ضُخمت بالكامل من قبل البريطانيين.**

**ومع ذلك، فإن أول تساقط للثلوج أصاب الفرنسيين بعد معركة مالوياروسلافتس، ثم أصبحت الليالي الباردة ظاهرة منتظمة. في اليوم الأخير من تشرين الأول، كتب كاستيلان في مذكراته: “ارتدى الإمبراطور قبعة من الفرو، ومعطفًا أخضر… الطقس بارد ولكنه جاف؛ المدفعية والعربات تتحرك بسهولة”. المشكلة الرئيسية في ذلك الوقت لم تكن الصقيع، بل نقص الغذاء.**

**كان على الفرنسيين أن يواجهوا الطقس الروسي الصعب، بالإضافة إلى الإرهاق والجوع ونقص المؤن. وكان حظهم سيئًا في مواجهة موسم العواصف والثلوج.**

**حتى كوتوزوف والجنرالات الروس أشاروا إلى الظروف الجوية القاسية. تحدث كوتوزوف عن شدة الشتاء القادم في خطابه إلى القوات: “يقترب الشتاء، العواصف الثلجية، والصقيع. هل تخشونها، يا أبناء الشمال؟ صدوركم الحديدية لا تخشى قسوة الطقس ولا حقد الأعداء. إنها الجدار المنيع للوطن، الذي يتكسر عليه كل شيء. ستتمكنون من تحمل النواقص المؤقتة إذا حدثت. الجنود الجيدون يتميزون بالثبات والصبر، والمحاربون القدامى سيكونون قدوة للشباب. ليذكر الجميع سُوفوروف: لقد علمنا تحمل الجوع والبرد عندما كان الأمر يتعلق بالنصر ومجد الشعب الروسي…”**

**كان الروح المعنوية للجيش الفرنسي بعد إقامته في موسكو منهارًا للغاية، بينما كان الجيش الروسي أفضل تجهيزًا وتغذية وأكثر حماسة وبالتأكيد أكثر اعتيادًا على الظروف الجوية المحلية. من المرجح أن الفرنسيين شعروا حتى بأبسط موجات البرد ككارثة فظيعة، مما انعكس في مذكراتهم ككارثة طبيعية مرعبة بسبب الجوع والخسائر الكبيرة والفشل.**

**من الواضح أنه لا يمكن تصديق مقال دافيدوف بنسبة مئة بالمئة. العامل المناخي لعب دورًا معينًا في هزيمة الجيش الكبير. في النهاية، الصقيع، رغم أنه لم يكن دائمًا وضرب في نهاية الحرب وخلال التراجع، لم يكن بإمكانه إلا أن يؤثر على حالته. ولكن لا يمكن القول، كما فعل البريطانيون في عام 1812، أن “الجنرال موروز” و”الجنرال الشتاء” وحدهما تمكنا من هزيمة الفرنسيين.**

**هكذا في الأدبيات التاريخية الأجنبية، يُعتبر الادعاء بأن السبب الأهم لفشل الحملات العسكرية الكبرى ضد روسيا هو ما يُسمى “الجنرال موروز” شبه بديهي. وفقًا لهذه النظرية، كانت الجيوش الأوروبية المحضرة جيدًا تتغلب بسهولة على العدو، لكنها كانت تصبح ضحية للظروف الجوية القاسية.**

**مع مرور الوقت، دخل “الجنرال موروز” في الفولكلور الروسي، واليوم العديد من الروس يعتقدون بصدق أن الانتصارات على نابليون وهتلر أصبحت ممكنة بفضل البرد القارس الذي لم يكن الأوروبيون المحبون للدفء وتقنياتهم مستعدين له.**

**يمكن اعتبار الفرنسيين هم من أطلقوا أسطورة “الجنرال موروز”، حيث زعموا، استنادًا إلى ذكريات جنرالات نابليون، أن الجيش الكبير الذي يزيد عن 550 ألف جندي في روسيا لم يُهزم بسبب مواجهة عدو عنيد وماهر، بل بسبب البرد القارس.**

**والجدير بالذكر أن الجيش الكبير كان يتكون من نصفه فقط من الفرنسيين. شارك في الهجوم على روسيا حوالي 130,000 ألماني من الدول الأعضاء في اتحاد الراين، وما يصل إلى 100,000 بولندي، وحوالي 40,000 نمساوي، وحوالي 35,000 إيطالي، و22,000 بروسي، و12,000 سويسري، وما يقرب من 5000 إسباني، وحوالي 2000 كرواتي وبرتغالي.**

**ووفقًا لنسخة المؤرخين الغربيين، فلقد تجمد حتى الموت هذا “الاتحاد الأوروبي النابليوني ” المسلح بشكل جيد في السهول الروسية.**

**لقد شعر المحاربون القدامى الروس في الحرب الوطنية عام 1812 بالإهانة الشديدة من مثل هذه التصريحات. في عام 1835، كتب الشاعر والحزبي دينيس دافيدوف، الذي استاء جدا من هذه المذكرات الفرنسية، مقالًا كاملاً بعنوان “هل دمر الصقيع الجيش الفرنسي في عام 1812؟”**

**بادئ ذي بدء، يذكرنا دينيس فاسيليفيتش أن جيش نابليون بدأ مسيرة العودة الحزينة على طول طريق سمولينسك لسبب ما، ولكن بعد معركة مالوياروسلافيتس، عندما لم تسمح القوات الروسية للجيش العظيم باختراق المقاطعات الجنوبية الغنية بالغذاء.**

**ثم يجد دينيس دافيدوف دليلاً على ما كان عليه الطقس حقًا في أعمال المؤلفين الفرنسيين أنفسهم: “خلال مسيرة الجيش الفرنسي بأكملها من موسكو إلى بيريزينا، أي لمدة ستة وعشرين يومًا، كان الجو باردًا، على الرغم من أنه لم يكن شديدًا (من اثنتي عشرة إلى سبع عشرة درجة)، إلا أنه لم يستمر أكثر من ثلاثة أيام، وفقًا لشامبراي وجوميني ونابليون، أو خمسة أيام، وفقًا لغورجو.**

**“في ذلك الوقت، كان الجيش الفرنسي عند مغادرته موسكو يتألف، وفقًا لقائمة القيادة العامة الفرنسية التي استولينا عليها أثناء المطاردة، من مائة وعشرة آلاف جندي جديد، ووفقًا لجميع مؤرخي الحملة، لم يصل سوى خمسة وأربعين ألفًا منهم إلى ضفاف نهر بيريزينا. كيف يمكن التفكير أن جيشًا من مائة وعشرة آلاف جندي يمكن أن يفقد خمسة وستين ألف جندي بسبب صقيع استمر ثلاثة أو خمسة أيام فقط؟” يتهكم دافيدوف.**

**نابليون كان ينتصر حتى في الصقيع.**

**ويضيف الجنرال والمدفعي ماركيز دي شامبري: “الصقيع الجاف والمعتدل، الذي رافق القوات من موسكو حتى أول تساقط للثلوج، كان أكثر فائدة منه ضارًا”.**

**تم وصف الطقس في روسيا في نهاية عام 1812 بتفاصيل كافية، وذلك قبل معركة كراسنويه، التي وقعت في 15-18 نوفمبر-تشرين الثاني 1812، تراوحت درجة الصقيع ما بين ناقص 3 إلى 8 درجات. وبعد ذلك، حتى في المعركة على نهر بيريزينا في 26-29 نفمبر-تشرين الثاني، كان هناك ذوبان الجليد. لم يحدث الصقيع الحقيقي مع درجات حرارة أقل من 20 إلا بعد المعركة على نهر بيريزينا. ولكن بحلول ذلك الوقت لم يتبق سوى القليل من الجيش العظيم. ولكن ربما تكون ناقص 5 درجات مميتة بالفعل بالنسبة للأوروبيين الذين يحبون الدفء؟**

**لا شيء من هذا القبيل. في 7-8 فبراير-شباط 1807، هزم جيش نابليون القوات الروسية البروسية في معركة بريوسيش-إيلاو. كان الصقيع في تلك الأيام أقوى بكثير. حتى عام 1812، كان على الجنود الفرنسيين التعامل مع الطقس البارد، لكن هذا لم يكن له أي عواقب وخيمة.**

**ما الذي كسر الجيش العظيم؟**

**فماذا حدث في خريف عام 1812؟ هناك كل الأسباب للحديث عن سوء تقدير كبير لنابليون، الذي لم يكن مستعدا لحقيقة أنه سيتعين عليه قيادة حملة عسكرية واسعة النطاق في ظروف الشتاء. عندما نشأت مثل هذه الحاجة، اتضح أنه من المستحيل تموين القوات. فالجيش العظيم، بعد أن عانى من سلسلة من الهزائم على يد القوات الروسية، تم تضييق الخناق عليه وغادر روسيا، محرومًا من الغذاء وعلف الخيول وملاذات وراحة ليلية ملائمة. لكن الجنرال موروز لم يكن له أي أهمية لولا جهود الجيش الروسي، والأفواج القومية المتنقلة، والمقاومة الشعبية. فالتجهيزات الفرنسية التي حاولت الحصول على الطعام في القرى تعرضت لما تعرضت له ليس بسبب الصقيع الخيالي، بل بفعل مقاومة الفلاحين الروس العاديين.**

**كتب دينيس دافيدوف: “وهكذا سار الجيش الفرنسي على طول طريق مدمر دون قوافل مليئة بالطعام، ولا يجرؤ على إرسال الباحثين عن الطعام إلى القرى الواقعة على جانب الطريق”. – ما هو السبب في ذلك؟ النقطة المختارة للمعسكر في تاروتين، وإغلاق طريق كالوغا في مالوياروسلافيتس، وإخراج جيش العدو من المنطقة الغنية بالمؤن الغذائية، وإجباره على السير على طول طريق سمولينسك المدمر، والاستيلاء على قوافل العدو المحملة بالطعام. وسلاح الفرسان الخفيف لدى الروس، وتطويق القوافل الفرنسية من مالوياروسلافيتس إلى نهر نيمان، وعدم السماح لأي جندي واحد بمغادرة الطريق الرئيسي للعثور على الطعام والمأوى.**

**الصقيع الروسي لم يهزم جيش نابليون، بل كان بمثابة النسر المتربص، ينهي ما تبقى من الأوروبيين المنهكين والمعذّبين، الذين دفعتهم إرادة حديدية وجهود العسكريين الروس لأقسى الظروف.**

**حرب الجليد الخاطفة: ما اشتكى منه جنرالات الفيرماخت؟!**

**من الغريب أن الصحافة الفرنسية والإنجليزية كتبت الكثير عن “الجنرال فروست” خلال الحرب العالمية الأولى، لكنه لسبب ما فقد قواه الخرافية.**

**لقد فقدتها، لتجدها مرة أخرى في نهاية عام 1941، مما أدى إلى تدمير الحرب الخاطفة التي تم التخطيط لها وتنظيمها جيدًا من قبل الفيرماخت. ربما لا يوجد جنرال ألماني لا يلوم الطقس على فشل الحملة على الجبهة الشرقية.**

**الجنرال هاينز غوديريان اشتكى من أن غياب ملابس الشتاء والصقيع الذي وصل إلى 35-50 درجة تحت الصفر بالقرب من موسكو في اشرين الثاني-كانون الأول، أدى إلى معاناة جنود الفيرماخت وتعطل الآليات.**

**ولكن الأمر المثير هو أن صقيع تشرين الثاني بالضبط جعل الجولة الثانية من الهجوم الألماني على موسكو ممكنا. تم إيقاف المرحلة الأولى في تشرين الأول 1941 بسبب صمود الجنود السوفييت والطرق الطينية التي جعلت الطرق غير سالكة. أعطى الصقيع الذي بدأ في أوائل نوفمبر فرصة جديدة للنازيين.**

**كيف كان الطقس بالقرب من موسكو في نهاية عام 1941؟**

**في 4 نوفمبر-تشرين الثاني 1941، انخفضت درجة الحرارة بالقرب من موسكو إلى دون 7 درجات. واستمر هذا الطقس لمدة ثلاثة أيام، وبعد ذلك بدأ ذوبان الجليد. وفي الفترة من 11 إلى 13 نوفمبر- تشرين الثاني اشتدت حدة الصقيع إلى ناقص 15-17 درجة، ولكن بعد ذلك ارتفعت درجة الحرارة وبقيت في حدود ناقص 3 إلى -10 درجات. وهنا، على سبيل المثال، أحد السجلات المتعلقة بأحوال الطقس في 30 نوفمبر-تشرين الثاني: “الاحتباس الحراري. درجة الحرارة حوالي 0 درجة. في المنطقة التي يقع فيها فيلق الجيش الثالث عشر (فيلق الجيش – المحرر)، بدأت السماء تمطر في المساء. حالة الطرق هي نفسها.”**

**في أوائل ديسمبر-كانون الأول، انخفضت درجة الحرارة بالفعل، لتصل إلى 25 درجة تحت الصفر في الليل. ولكن بحلول هذا الوقت كان الهجوم الألماني قد استنفد نفسه تمامًا، ولم يتمكن من التغلب على دفاعات الجيش الأحمر.**

**سوف يضرب البرد الشديد حقًا، عندما تنخفض درجات الحرارة ليلاً إلى ناقص 35 أو أقل، في نهاية ديسمبر-كانون الأول 1941. في هذا الوقت، كان الفيرماخت يتراجع من موسكو، ولم يكن مدفوعًا في المقام الأول بالصقيع، بل بقوة الهجوم السوفياتي المضاد.**

**أسطورة من مكتب جوبلز**

**أسطورة الصقيع باعتبارها السبب الجذري لهزيمة ألمانيا بالقرب من موسكو أطلقها أدولف هتلر و”روج لها” بمهارة وزير الدعاية جوزيف جوبلز. ولكن من غير المرجح أن يكون قد ترسخ بهذه السهولة في وعي الأوروبيين لو لم يتم رفع “الجنرال فروست” من قبل إلى القمة من قبل المؤلفين الفرنسيين الذين سعوا إلى تبرئة سمعة نابليون.**

**من الغريب أن الألمان يلومون الشتاء الروسي بشكل أقل بكثير على الهزيمة في ستالينجراد. على الرغم من وجود الصقيع في ديسمبر-كانون الأول 1942 – يناير-كانون الثاني 1943. على ضفاف نهر الفولغا تصل أحيانًا إلى ناقص 40 درجة. ولكن، أولاً، علينا أن نعترف بأن قيادة هتلر لم تتعلم أي دروس من حملة الشتاء الأولى. وثانيا، توقف جيش بولس في ستالينغراد في الصيف، عندما لم تكن هناك رائحة “الجنرال فروست”. وكما في حالة جيش نابليون، وكما في معركة موسكو، جاء الصقيع ليجني ثمار الهزيمة التي أصابت العدو وبسبب قصوره.**

**الشوفينية القديمة الطيبة**

**في أسطورة “الجنرال موروز”، تتجلى الشوفينية القديمة بوضوح أكبر تجاه “الغزوات المغولية”. كيف يمكن لعبقرية هتلر اللامعة أن تخسر أمام الفلاحين الروس الملتحين مع دببهم والبالاليكا! قوى الطبيعة العاتية، والظروف القاهرة – إنها قضية مختلفة تمامًا.**

**على الرغم من الأسف، نحن جاهزون للإيمان بذلك. في العقود الأخيرة، وضع “الجنرال موروز” نفسه بين الأساطير الثابتة لبعض المؤرخين الروس، مثل “غمروا الألمان بالجثث”، “الانتصارات بواسطة الألوية العقابية فقط”، و”اغتصاب مليوني امرأة ألمانية”.**

**في كثير من الأحيان في التأريخ الألماني (والأجنبي بشكل عام) يمكن العثور على عبارة مفادها أنه خلال معركة موسكو في أواخر خريف وشتاء عام 1941، لعب الصقيع الدور الرئيسي تقريبًا في وقف الهجوم الألماني. ويقال إن البرد بدأ يلعب دوراً مع الجيش الأحمر ابتداءً من 12 تشرين الثاني.**

**يجب القول إن موضوع الشتاء الروسي، الذي منع غزو جيوش العدو إلى روسيا، نشأ قبل فترة طويلة من الحرب العالمية الثانية. وقد سُمعت لأول مرة بوضوح في بداية القرن الثامن عشر خلال حرب الشمال التي شاركت فيها روسيا والسويد. كان شتاء عام 1708 باردًا جدًا حقًا (يكتب علماء المناخ أنه لم يكن هناك مثل هذا الشتاء في أوروبا منذ القرن الثالث عشر تقريبًا)، مما أجبر السويديين على تقليص هجومهم.**

**ماذا حدث في نوفمبر وديسمبر- تشرين الثاني وكانون الأول 1941؟ كما حدث في عام 1812، وصل الشتاء متأخرًا. اليوم الأول الذي كانت فيه درجات الحرارة أقل من الصفر ناقص (-7) كان يوم 4 نوفمبر-تشرين الثاني. ثم جاء ذوبان الجليد. فقط في الفترة من 11 تشرين الثاني إلى 13 تشرين الثاني أظهر مقياس الحرارة في منطقة موسكو درجة ناقص 15 إلى ناقص 18. وفي واقع الأمر، خلال هذه الأيام الثلاثة كانت درجة الحرارة غير طبيعية في هذا الوقت من العام في منطقة موسكو. ثم أصبح الجو أكثر دفئًا بشكل ملحوظ مرة أخرى. بعد 17 نوفمبر-تشرين الثاني، بدأ الجو يصبح أكثر برودة مرة أخرى، وتجمدت المستنقعات والأنهار الصغيرة. ولكن من المثير للاهتمام أن هذا ساهم فقط في تقدم قوات الفيرماخت – حيث سارت الدبابات والمشاة الآن على الجليد القوي.**

**وبطبيعة الحال، لعب عامل الشتاء دورا، ولكن ليس بشكل مباشر. يعكس هذا على الأرجح سوء التقدير الاستراتيجي لهيئة الأركان العامة الألمانية وهتلر شخصيًا. كانوا يأملون في شن حرب خاطفة، تم خلالها التخطيط لهزيمة الاتحاد السوفياتي في شهرين إلى ثلاثة أشهر. أي قبل أن يأتي الشتاء. هذا هو ما بني عليه كل شيء: لم يقم الألمان بتخزين الزي العسكري الدافئ أو الوقود والزيوت الخاصة للمعدات.**

**كان للجيش الأحمر في وضع أفضل في هذا الصدد. أولا، كانت البلاد دائما تستعد لفصل الشتاء؛ ثانيا، خلال الغزو المفاجئ، استولى الألمان على المستودعات في المناطق الحدودية، حيث بالإضافة إلى الأسلحة والذخيرة، تم تخزين مجموعات الزي الرسمي بكميات ضخمة. لكن هذه كانت تجهيزات صيفية، أما تجهيزات الشتاء فقد تم تخزينها في أعماق البلاد ولم يحصل عليها العدو. وهكذا، تلقى جنود الجيش الأحمر في الوقت المحدد الأحذية والقبعات الدافئة ومعاطف الفرو القصيرة، في حين قام النازيون بتدفئة أنفسهم بكل ما في وسعهم. بما في ذلك مصادرة الملابس الدافئة من السكان. ظهرت الإمدادات الألمانية بعد فوات الأوان: ظهرت المعاطف الدافئة والمقطورات المتنقلة مع مواقد في المقدمة قرب نهاية معركة موسكو.**

**ومع ذلك، إذا حكمنا من خلال مذكرات قائد مركز مجموعة الجيش الألماني، فيدور فون بوك، التي كتبها خلال فترة الصقيع في 11-13 نوفمبر-تشرين الثاني 1941، لم يكن الانخفاض الحاد في درجة حرارة الجو هو ما أزعجه. لقد كان ساخطًا لأن القطارات التي كان من المفترض أن تقوم بتسليم الذخيرة والوقود والمعدات بشكل عاجل لجيوشه قد تم تسليمها لنقل اليهود الأوروبيين إلى معسكرات الاعتقال. دون تلقي الإمدادات المناسبة، توقف الهجوم الألماني. كان العامل المهم الآخر هو أنه بحلول ذروة معركة موسكو، تكبدت القوات الألمانية خسائر كبيرة وكانت منهكة. ومن الناحية الأخلاقية والمعنوية، تأثر فشل الحرب الخاطفة: بعد كل شيء، وفقا لوعود القيادة، كان من المفترض أن تنتهي الحرب ضد الاتحاد السوفياتي منذ فترة طويلة بالانتصار المزعوم. وبالتالي، إذا قمنا بإضافة كل هذه العوامل، فسيتم استنفاد موارد الهجوم الألماني. كان هذا، وليس الشتاء، هو الذي سمح للجيش الأحمر بشن هجوم مضاد حاسم، مما دفع الألمان إلى التراجع عن موسكو في كانون الأول. وبالمناسبة، فقط خلال الهجوم المضاد، ضرب الصقيع الشديد حقا، لكنه لم يوقف الاندفاع الهجومي للقوات السوفياتية.**

**ومع ذلك، ركز غوبلز وقسم الدعاية التابع له بشكل أساسي على تفسير فشل الخطط الألمانية بشأن المناخ. من المفترض أن الصقيع الشديد منع الألمان من إيقاف الهجوم السوفياتي المضاد. ولكن هنا يمكننا ويجب علينا استخدام حجة يومية تمامًا: الصقيع يعيق الجميع – المهاجمين والمدافعين على حد سواء. وهي تؤثر بنفس الطريقة على جنود ومعدات الجيوش المقاتلة.**

**هناك حجة قوية أخرى تحطم أسطورة الجنرالات إلى أشلاء: استولى الفيرماخت بسرعة على النرويج في ظروف مناخية وجوية أسوأ بكثير مما كانت عليه خلال معركة موسكو (انتهى).**